الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي اكلي محند أولحاج البويرة

معهد اللّغات والأدب العربي

قسم اللّغة العربية وآدابها

العادات والتقاليد في منطقة البويرة

آيت العزيز أنموذجا

مذكرة لنيل شهادة ليسانس

إعداد الطالبتين

والي ليندة .....

سيلام سهيلة .....

إشراف الأستاذ:

بن زرباني نزيه العابدين

السنة الجامعية 2011-2012

شكر وعرفان

انطلاقـــا من العرفان بالجميل، فإنه ليسرنا وليثلج صدورنا أن نتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذنا الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير.
الأستاذ "بن زياني زين العابدين"

الـــذي مد لنا من منابع علمه بالكثير والذي ما توانى يوما عن مد يد المساعدة لنا له منا كل التقدير والاحترام.

إلـــى الذين كانوا عونا لنا في بحثنا هذا ونورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا.

إلـــى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقد قدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات.

سكـــان منطقة آيت لعزيز خاصة الخالة "ربيعة" والخالة "لويزة" بدار الثقافة.

فـــلهـــم منـــا كـــل الشـــكـــر

إهـــــداء

إلـــى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان

إلـــى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانه بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب " أمي الغالية ".

إلـــى من كلله الله بالوقار يا من أحمل اسمه بكل افتخار.

أرجو أن يمد الله في عمرك لترى ثمارك التي طال فيها انتظارك إليك " والدي العزيز".

إلـــى من نذروا أنفسهم لخدمتي، وأثروني على أنفسهم، وحصدوا الأشواك عن دربي ليمهدوا لي طريق العلم، فكانوا كالشمعة تحترق نفسها لتنير من حولها، إلى من أهبهم عمري الذي لا يساوي ذرة شقائهم عليا إليكما "سماعيل – مراد".

إلـــى أعظم صديقة فتحت أعيني عليها "عمتي نورة".

إلـــى ينبوع التفاؤل والأمل وحب العلم والدراسة إليك "أخي سمير" أتمنى لك النجاح في شهادة البكالوريا.

إلـــى سنداي وقوتي وملاذي، إلى من تحلو بالإيخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي اللتان برفقتهما سرت في درب الحياة الحلوة والحزينة "فريدة وغانية".

إلـــى من حبه يجري في عروقي، ويلهج بذكراه فؤادي إلى ريال البيت "عبدو".

إلـــى أختي ربيعة وزوجها وأبنائها (ياسمين، راضية، مومن).

إلـــى أختي صبرينة وزوجها وابنها (أيوب).

إلـــى عمي بوعلام وزوجته وابنته، إلى عمي كمال وزوجته وأبنائه.

إلـــى رفيقة دربي التي ما كان لهذا العمل أن يكتمل دونها إليك "سهيلة".

إلـــى من كانت لي دوما، فكنت بها وإليها أبدا، إلى من تحيني بسمتها وتمتني دمعتها إلى مسك حياتي "أمينة" يا أعز صديقاتي.

إلـــى الأخوات التي لم تلدهن أمي: كريمة، جميلة، نسيمة، نبيلة.

ما عساي أقول فقد هربت مني الكلمات وتشتت العبارات أي كلام يفيكم حقكم بل أي عبارات تليق بمقامكم.

في الأخير أقول لعائلتي:

" اللهم أرح قلوب أفراد أسرتي، وأنر دربهم وكن معهم وحسبهم فهم غالين عليا وأنا أحبهم".

ليندة

إهـــــداء

إلـــى أعظم النعم عليَّ وأثمن جوهرة أملكها في الوجود "أمي" الحبية.

إلـــى الذي علمني حسن الفضيلة فوعدته بالعلم والعمل والنجاح، إلى الذي ودعت روحه الطاهرة وأنا في طفولتي، إلى روح "أبي" رحمه الله.

إلـــى من عوضني غياب أبي وأنار دربي وسعى من أجل إرضاء حاجاتي، إلى من أهبه عمري الذي لا يساوي ذرة شقائه معي أخي "محمد".

إلـــى شقيقتي الوحيدة "سميرة" والتي أتمنى لها النجاح في شهادة البكالوريا. وإلى أخي " توفيق" وزوجته "زينب" وابنتها "كنزة".

إلـــى الذي جمعتني به وصال المحبة، إلى من شاركني حياتي في السراء والضراء، إلى سندي في هذه الحياة إلى زوجي " حسان".

إليـــك جدي، وإليك جدتي.

إلـــى كل أعمامي وعماتي، أخوالي وخالاتي وخاصة خالتي "ربيعة" وزوجها "بلقاسم" اللذان كانا دليلا رحلتنا.

إلـــى الذين قاسموني المحبة والصداقة طيلة أربع سنوات، فكانوا حبي وحياتي: أمينة كريمة، جميلة، نسيمة، نبيلة.

إلـــى الذي كان أستاذي والآن مشرفي إلى الذي أكن له كل التقدير والاحترام الأستـــاذ "بن زياني زين العابدين".

إلـــى كل من ساهم في تنمية عملي وارتقائه دون أن أنسى سكان بلدية آيت العزيز فلهم كل احترامي.

سهيلة

مقـدمـــة

لقد عرف التراث توسعا كبيرا ليضم إلى الجانب الفكري، الجانب الاجتماعي كالعادات والتقاليد، فالمتخصصون في التراث الشعبي يهتمون بدراسة هذا الميدان لما له من أهمية حيث أنها تسهم في دراسة جميع العلوم التي تهتم بالإنسان من مظاهر حياته الاجتماعية والتاريخية.

فالعادات الشعبية تعطي صور الحياة لما لها من بهاء ورونق لذلك فقد اهتم الإنسان بهذا الجانب عبر مسيرته وتطوره وحافظ عليه وكان ذلك إما عن طريق التوارث وإما عن طريق التقليد وهذا راجع للظروف (الاقتصادية، الاجتماعية والمعتقد الديني وحتى الإيديولوجي لأي مجتمع).

فكان لكل أمة تقاليدها الخاصة التي تميزها عن غيرها.

والواقع أنه بالبحث والدراسة يمكن معرفة أحوال الجماعات وتطورها من خلال موروثها الذي هو مصدر من مصادر تاريخها، وهذا هو الدافع الذي حذا بنا إلى الدراسة الميدانية لعادات وتقاليد منطقة آيت لعزيز" والسبب المباشر في اختيارنا لهذه المنطقة كموضوع بحث أن الدراسات حولها قليلة جدا إلى حد الانعدام.

فرأينا أن نحدد الميدان ونتناول الموضوعات المتعلقة بها، فهدفنا الأسمى كان التعريف بهذه المنطقة التي مازالت متمسكة بأعراف وتقاليد أبائها وأجدادها.

فأردنا أن نكون بصدد هذا البحث عن المعرفة القبائلية التي لا يمكن أن نستقيها من التاريخ بالقدر الذي نستقيها من المرويات والحضور في الميدان من مصنوعات وفنون شعبية وممارسات وغيرها.

وبالتالي وعلى ما نعتقد فقد اجتمعت الأسباب العلمية والذاتية الكافية التي أدت إلى صياغة عنوان البحث العادات والتقاليد في منطقة البويرة "آيت لعزيز" أنموذجا وتناولنا خطة تعرضنا فيها إلى ما يلي:

مقدمة: والتي جاءت كنظرة عامة للعادات والتقاليد بالإضافة للدوافع الكامنة وراء اختيار الموضوع والصعوبات التي واجهتنا في العمل بصفة عامة.

أما فيما يخص

المدخل: فقد كان بمثابة لمحة شاملة عن التراث الشعبي عامة والعادات والتقاليد خاصة، ومن خلال هذا المدخل قمنا بالربط بينه وبين منطقة العمل الميداني "آيت لعزيز" فلجأنا للتعريف بالمنطقة جغرافيا، اقتصاديا، ثقافيا.

وفي الفصل الأول: فقد خصصناه لتعريف العادات والتقاليد من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ثم انتقلنا إلى ذكر مختلف مظاهر هذه العادات حيث قسمناها إلى:

I. الأعياد غير الدينية: التي تضم الاحتفالات بـــ "يناير".

II. الأعياد الدينية: التي تجمع الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، عيد الفطر، عيد الأضحى.

III. دورة الحياة: بدأناها بالميلاد والختان ثم الزواج وختمناها بالوفاة، فهي دورة حياة الإنسان، منذ خروجه إلى النور حتى ذهابه إلى الظلام

IV. الفنون التشكيلية: من صناعة الفخار والنسيج والآلات الموسيقية المختلفة

أما فيما يتعلق بالفصل الثاني: فقد عالجنا فيه مسألة المأثورات الشعبية والعالم المعاصر وعرجنا إلى دراسة شخصية الفرد القبائلي بثنائيتها الذكر والأنثى أي المرأة والرجل كل على حدة.

وفي الفصل الثالث والأخير الذي كان بمثابة تسليط الضوء على ما تم ذكره في الفصل الأول بعمق أكثر.

فقد توقفنا عند العادات والتقاليد بصفة عامة عند سكان منطقة "آيت لعزيز" بما فيها الاحتفالات بالختان، الزواج، يناير، وغيرها.

وفي الأخير ختمنا بحثنا هذا برصد النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا دون أن ننسى المصادر والمراجع المستعملة في البحث.

وما نشير إليه هنا أننا لاحظنا أن هذا البحث وسائر البحوث في هذا المجال – أي مجال الأدب الشعبي– أنها بحوث ميدانية تستوجب علينا التنقل هنا وهناك وهو عمل من أصعب الأمور من جمع ونقل ودراسة إنه عمل مضن فيه جهد ما لا يعلمه إلا الله لأن المادة الثقافية أولا مشتتة في أذهان الناس وثانيا أن هذه الأذهان تتمتع بأمزجة متباينة وموروثات مشوشة تحتاج إلى أن توضع في موضعها الصحيح وتأخذ سياقها التاريخي والاجتماعي.

وإلى جهد ومشقة هذا العمل إلا أننا وجدنا فيه جانبا من المتعة الجمة أي نعم حيث تعرفنا على مناطق ومناظر ريفية خلابة.

وأملنا الوحيد في الأخير أن يجد فيه القارئ والمطالع ضالته وأن يقع من نفسه موقع الرضا والاستحسان.

المـــدخـــل:

منـــطقـــة "أيـــت لعزيـــز": جغرافيـــا

اقتصاديـــا

ثقـــافيـــا

يشكل تراث الشعوب الإطار التاريخي الذي تنطلق منه حضارة أي شعب، فهو بمثابة الوعاء الذي يجمع بين جنابته الحصيلة الإنسانية لكافة جوانب تطور هذه الشعوب ونموها.

إن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد أو القريب، و يعرف التراث على هذا الأساس بأنه " كل ما ورثناه تاريخيا"، و بأنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة[1].

فلا حضارة بلا تراث لأنها ستصير حضارة طفيلية ترتوي من تراث أخر. دون تراثها شأن الطفيليات التي تتقوت مما تنتجه الأشجار الأخرى، فما إن تحبس عنها الأشجار قوتها حتى تندثر مهما بلغت طولا و عرضا، بل يجب أن تكون حضارة أصيلة لا تبعية عندها مستقلة تملك جذورها العميقة.

التراث الشعبي ينضر إليه على أنه ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والفنون والحرف والمهارات ومختلف المعارف الشعبية والثقافية المادية التي أبدعها وصاغها المجتمع عبر تجاربه والتي تناقلها الأفراد جيلا بعد جيل.

يهتم الباحثون والدارسون بثقافة شعوبها وتاريخها، ويبذلون من أجل الوصول إليها كل ما يملكون، بل و يفنون عمرهم في استكمال حلقات تاريخها دون كلل أو ملل فتراهم يبحثون عن أي مصدر يعتصرونه ليصلوا إلى معلومات تضيء ما غمض عنهم لتلميع حلقات تاريخهم وتحديد معالم أسلافهم وإنجازات ومهاراتهم، فتتجلى لشعوبهم ملامح التميز والتفرد في البيئة أو الوطن وتضل في النهاية إلى خصوصياتها الحضارية[2].

وهو الأمر الذي حدا بنا إلى أن نسلك نفس المنهج، فلقد راجعنا تاريخ بلادنا ورأينا ضرورة الاهتمام بتاريخ الجزائر الثقافي والاجتماعي والبحث عنه وتقريبه من الشباب لخلق وعي به ووعي بما أنجزه أسلافنا في ظروف حضارية طال مداها عرفوا خلالها صراعات طويلة أظهروا فيها بطولات خارقة من أجل أن يبقى للأحفاد ما استثمره الأجداد.

تعتبر الجزائر كغيرها من الدول ذات تراث شعبي عريق بمجالاته المختلفة من أدب شعبي ومعتقدات شعبية، وثقافية مادية وفنون شعبية، وعادات وتقاليد شعبية، فإن هذه الأخيرة لقيت اهتماما خاصا من قبل دارسوا الإنسان والمتخصصون في دراسة التراث لما له من أهمية، وهو الميدان الذي توجهت عنايتنا إليه في هذه الدراسة الميدانية.

---

[1] محمد رياض وتار، "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات إتحاد الكتاب العربي، دمشق 2002 م، ص 19.

[2] محمد عيلان، "التراث الشعبي الجزائري، دراسات وبحوث ميدانية"، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 م، ص 13.

أرض الجزائر واسعة، من بين خلاياها الثمانية والأربعين قد وقع اختيارنا على الخلية العاشرة وهي ولاية البويرة.

إن ولاية البويرة بموقعها الاستراتيجي كانت وستظل مهدا لكل الحضارات، فهي ذات تراث متنوع تلمسه من خلال المعالم التاريخية سواء المدنية أو الدينية أو العسكرية، إضافة إلى المنحوتات والكتابات الرومانية، المدن القديمة، المعالم الجنائزية الأبراج العسكرية والصناعات التقليدية...الخ.

ونظرا لأنه ليس بإمكاننا أن نتعرض لكل ما يوجد في ولاية البويرة من عادات وتقاليد اخترنا منطقة "آيت العزيز" بالذات لنبين من خلالها عراقة وأصالة الشعب الجزائري عامة والبويري خاصة.

إن "آيت العزيز" قرية صغيرة بسيطة ببساطة أهلها، تقع في جبال البويرة، تحدها شمالا جبال جرجرة وولاية تيزي وزو، وشرقا بلدية تاعزوت، وغربا بلدية عين الترك وبلدية عمر، أما جنوبا بلدية البويرة.

تضم منطقة "آيت العزيز" بلديات عديدة نذكر منها: أمان قرقور، بني فودة بزيت، معالة آيت حميدان، شاطبيا وغيرها.

بلاد القبائل نقطة جغرافية تربعت في الجزائر على عرش الجمال والحسن كله ولا تكاد تطأ قدماك مداشر وقرى هذه المنطقة حتى يسترسل شجر الزيتون وصخر الوادي والبيت المبني من الطوب الأحمر في سرد تفاصيل المكان وحكايات الزمان فالعيش بضعة أسابيع وسط أهل القبائل يكفي لإدراك مدى تأصلهم وتشبثهم بماضي الأجداد تشبثا يكاد يكون حرفيا في مجتمع معروف عنه ثقافته الشفوية التي تناقلها الأبناء أبًا عن جد[1].

إن سكان منطقة "آيت العزيز" يكونون وحدة اجتماعية متعايشة منذ زمن طويل ويتواصلون بلغة واحدة يفهمها الجميع، كما تتميز بخصائصها الثقافية، تتكون هذه الخصائص بتأثير البيئة أو المنطقة الجغرافية ولها نظامها الاجتماعي والقرابي المؤثر في سلوكات الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم وبين غيرهم، ويتجلى ذلك في عاداتهم وتقاليدهم وحرفهم ومهاراتهم وشفوياتهم وشتى مظاهر حياتهم.

تُمارس في منطقة "آيت العزيز" كباقي مناطق ولاية البويرة طقوس وتعابير وعادات ورثها الأبناء عن الأجداد، وهي لا تزال ممارسة إلى يومنا هذا، فنجد على سبيل المثال: الاحتفال بعيد يناير وطقوسه الخاصة، إضافة إلى بعض العادات والتقاليد التي تجسد مظاهر التعاون والتلاحم بين أفراد المجتمع كالتويزة، الزردة، الوزيعة والوعدة ...الخ.

---

[1] فتيحة أحمد بورويبة، "الرياض تدخل عالم المرأة القبائلية"، جريدة الرياض، العدد 12887، مكتب الرياض بالجزائر، 2003، ص 4.

كما تتميز المنطقة مثلا من حيث اللباس التقليدي بالجمع بين اللباس القبائلي، فنجد الفوطة المنديل، افطرون، وكذا اللباس العروبي، فنجد الروبة العربي، السروال المدور، العرصة والبليطة هذا بالنسبة للمرأة، أما بالنسبة للرجل فنجد البرنوس القندورة، العمامة، السروال العربي والعصا ومع اختلاف أنواع هذه الألبسة فإنما هي تعبير عن هوية وأصالة سكان منطقة "آيت العزيز".

كما تضم عادات وتقاليد أخرى تكشف لنا أن البلدية لا زالت غنية بعناصر التراث الشعبي وخاصة تلك المتعلقة بالقيم الاجتماعية، أو التي تؤدي وظيفة في المجتمع وبالطبع كل هذا سنتطرق إليه بشكل مفصل في الفصل الثالث.

ولا ننسى أن ننوه كما يعلم الجميع أن العادات والتقاليد تختلف من بيئة إلى أخرى، ونحن لا نعرف عادات جميع الناس، ثم إن العادات والتقاليد تنشأ أيضا بمؤثرات بيئية مناخية، وهي تختلف طبعا.

أضف إلى ذلك فالقيام بعمل ميداني خاصة في مجال جمع المادة يتطلب وقتا ليس بالقصير للمعاينة والتصوير والتسجيل.

وينبع اهتمامنا بهذه المسألة من تقديرنا لما يمكن أن يحدث من تغييب للآراء ومواقف لاعتبارات مختلفة وتبعا للانتماء الإيديولوجي للأشخاص الذين قدموا رأيهم في هذه العادات والتقاليد المتوازنة.

إن العادات والتقاليد كظاهرة شعبية يجب أن ندرسها في ضوء نظرة محايدة وبعيدة كل البعد عن التحيز أو التحامل عليها، لذا يجب الوقوف على وجهة نظر الجماعات الشعبية نفسها وأهميتها وتحديد دورها بالنسبة لهما[1].

إذا كنا سنهتم بالإطار الثقافي على أساس أن العادات والتقاليد كظاهرة فولكلورية من مكونات هذا الإطار، إلا أن هذا لا يجعلنا بأي حال نهمل الإطار الاجتماعي، وإنما ستكون نظرتنا على الإطار الثقافي على أساس أنه حصيلة الخبرة الاجتماعية، أو بمعنى أخر أنه تجميع للحياة الاجتماعية التي تعيشها الجماعة.

وهذا يؤكد أننا في تجلينا للعادات والتقاليد ستسير على أساس التحليل القائم على المستوى الاجتماعي الثقافي (Socio - culture) لأن كلا من الإطارين يحمل أهمية كبيرة تجمع بينهما علاقة تبادل وتكامل، وهذا يعني أنه لا نستطيع أن نفصل موضوع العادات والتقاليد كظاهرة شعبية ثقافية عن حياة كثير من الجماعات في المجتمع، لأنه لا يمكن أن نتصور وجود هذه الظاهرة بعيدا عن هذه الجماعات التي تشترك في حضورها وتقوم بممارستها الشعائرية والفلكلورية وتتوارثها بمعنى أن مجال الثقافة هو السلوك البشري الاجتماعي.

[1] محمد عيلان، "التراث الشعبي الجزائري"، ص 14.

ووفقا لما تقدم ذكره سابقا نخلص إلى القول أن التراث مصدر أساسي لمعرفة تاريخ التفكير الفلسفي والفكري لشعب معين، وأنه مصدر إلهام الأدباء وحصيلة ثقافتهم الأولى[1].

فهو لا يمتعنا فقط، بل يكشف لنا أيضا مجموع ما خلفته الأجيال السابقة للأجيال الحالية، حتى تكون عبرة من الماضي ونهج يستقي منه الأبناء الدروس ليعبروا بها من الحاضر إلى المستقبل. فهو بذلك يعد وثائق تاريخية مهمة لما ينقل إلينا من أحوال أجدادنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[2].

[1] حمدي الشيخ، "جدلية التراث في شعر شوقي الغنائي"، كلية الأدب، جامعة بنهام، ط1، 2006، ص 37.

[2] مرجع نفسه، ص 38.

الفصل الأول

الفصـــل الأول:

نظـــرة عامـــة حـــول ماهيـــة العـــادات والتقاليـــد

I – مفهوم العادات والتقاليد لغة واصطلاحا

أ – العـــــادات

ب – التقاليـــــد

II – مظاهـــر العـــادات والتقاليـــد

III– أهميـــة العـــادات والتقاليـــد

I – تعريف العادات والتقاليد لغة واصطلاحا:

1- العادات:

أ – من الناحية اللغوية:

وردت لفظة العادة في مختار الصحاح بمعنى ما يعود إليه الإنسان مرارا وتكرارا، أو الحالة التي تكرر على نهج واحد.

فقال عبد القادر الرازي[1]:

العادة معرفة والجمع (عادٌ) و(عادات) تقول منه: عاد فلان كذا من باب قال:

(واعتاده) (وتعوده): أي صار عادة له.

(واستعاده) الشيء فأعاده: سأله أن يفعله ثانيا.

وفلان (معيد) لهذا الأمر: أي مطيق له.

(والمعاودة): الرجوع إلى الأمر الأول.

فلفظة العادة في المعنى اللغوي تعني نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكرارا من غير جهد فيصبح بذلك عادة.

ب- من الناحية الاصطلاحية:

إن المعنى الاصطلاحي لكلمة العادة هو اعتياد الناس على إتباع سلوك معين يتعلق بمسألة معينة، وتكراره مرارا حتى يصبح هذا السلوك قانونا ملزم لهم، وأهم ما يميزه أنه وليد إرادة أفراد المجتمع التي فرضت السلوك المعتاد فهو يعبر بصدق ما يريده المجتمع مما يجعله نوعا من الديمقراطية المباشرة[2].

العادات هي سلوكات روتينية في الحياة اليومية، مكتسبة عن طريق التكرار ويتم تعليمها وممارستها اجتماعيا فتقبلها الجماعة وترتضيها.

والعادات تنقسم إلى قسمين[3]:

* عادات فردية: تتمثل في سلوك فردي خاص بشخص معين، كالحكمة فهذه العادة فردية ومظاهرها فردية.

---

[1] عبد القادر الرازي، "مختار الصحاح"، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 1، 2007 م، ص 212.

[2] محمد سعيد جعفور، "مدخل إلى العلوم القانونية، (الوجيز في نظرية القانون)"، دار هومة، الجزائر، ط14 2007 م، ص 169، ص 169و170.

[3] – فاروق أحمد مصطفى، "الأنتربولوجيا ودراسة التراث الشعبي دارسة ميدانية"، دار المعرفة الجامعية، ط1 2008 م، ص 77.

* عادات جماعية: لا يكون لها وجود إلا في إطار المجتمع، فهو العالم تمارس فيه وتنتج من خلال التفاعل مع أفراده وجماعاته، حيث أن هذه العادات تلقى احتراما وامتثالا، وقبولا لدرجة أنها تصبح قانونا اجتماعيا لا يتمرد عليه أحد أو يخرج عنه.

فالعادة الشعبية هي نمط السلوك الذي يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم فيميل إلى الثبات بمرور الوقت، بل وللانتقال الوراثي.

وتتميز العادات بخصائص أربعة وهي: قوة الإلزام أي الالتزام والخضوع لها وأيضا يجب أن تكون عامة وشاملة لكل أفراد المجتمع، وكل ما يخرج عنها ويتمرد عليها يلقى العقاب والجزاء وأيضا بإتباعها واحترامها فإنها تبقى مستمرة[1].

الواقع إن العادات لها وجودها كحقيقة ملموسة في كل الجوانب الحياة اليومية فهي تقوم على أساس الفعل الاجتماعي، كما أنها متوارثة فضلا عما لها من قوة معيارية تتطلب الامتثال الاجتماعي، وعندما يستمر استعمال هذه العادات لفترات طويلة تصبح تقليدا.

2- التقاليد:

أ- من الناحية اللغوية:

وردت لفظة التقاليد لغة في مادة (قلد) بمعنى:

قلد: القاف والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء والأخر على الحظ والنصيب.

فالأول التقليد: تقليد البدنة: وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي.

ويقال: قلد فلان فلانا قلادة سوء، إذ هجاه بما يبقى عليه وسمه، فإذا أكدوه قالوا: قلده طوق الحمامة أي لا يفارقه كما لا يفارق الحمامة طوقها[2].

كما وردت لفظة (قلد) بنفس المعنى في مختار الصحاح لعبد القادر الرازي فيقول:

ق ل د: (القلادة) التي في العنق و(قلّده فتقلّد) ومنه (التقليد) في الدين وتقليد الولاة الأعمال وتقليد البدنة: أي يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي[3].

ب- من الناحية الاصطلاحية:

إن التقاليد هي محاكاة لسلوك القدامى والمتوارث عنهم، وهي تنتقل من جيل إلى جيل كما تمدنا بمجموعة من الأنماط السلوكية المعدة والجاهزة من قبل لكي نتبعها وحتى نستطيع تحقيق الحاجات الأساسية.

---

[1] فاروق أحمد مصطفى، "الأنتربولوجيا ودراسة التراث الشعبي دارسة ميدانية"، ص 77.

[2] أحمد فارس، "معجم مقاييس اللغة"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، ص 829.

[3] عبد القادر الرازي، "مختار الصحاح"، ص 250.

ويعرف الباحث "حسن الساعاتي" التقاليد " على أنها عادات مقتبسة، اقتباسا رأسيا من الماضي إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل، ويزيد التقاليد قوة أن أبائنا يتمسكون بها، لذلك كان أصعب دور كلف إياه الأنبياء والمرسلون تغيير عادات القوم المتوارثة أي تقاليدهم[1].

II- مظاهر العادات والتقاليد:

يهتم دارسوا الإنسان والمختصون في التراث الشعبي بدراسة العادات والتقاليد لما لهذا الميدان من أهمية، بحيث يسهم في دراسة جميع العلوم التي تهتم بالإنسان في مظاهر حياته الاجتماعية والتاريخية، والعادات الشعبية تعطي صورة الحياة لما لها من بهاء ورونق[2].

ومن مظاهر العادات والتقاليد الشعبية مختلفة، منها ما يتجلى في الأعياد الدينية المتمثلة في المولد النبوي الشريف، عاشوراء، عيد الفطر وعيد الأضحى وغيرها وأيضا منها ما يتجلى في دور الحياة التي تشمل الميلاد والختان والزواج والوفاة بالإضافة إلى الفنون التشكيلية التي تضم النسيج، الفخار والزخارف، الآلات الموسيقية وغير ذلك من الفنون.

1. الأعياد غير الدينية:

1- يناير:

يحتفل المجتمع الجزائري برأس العام يوم 12 يناير، كما يسمى باب السنة، هذه مصطلحات تدل على بداية موسم الفلاحة لفصل الخريف والزرع[3]. مجيئه يعني "نهاية الليالي السوداء وبداية الليالي البيضاء ولو أنه لا يتم الاحتفال به رسميا فهو بمثابة حدث مهم في الأوساط الفلاحية"[4].

ويرتبط عيد يناير بأسطورة ويتمثل ملخصها في أن عجوزا تملك فطيعا من الماعز وحدث وأن سقط المطر والثلج في شهر يناير إلى درجة تعطيل الناس عن قضاء حوائجهم. وما أن انقضى شهر يناير حتى عبرت العجوز عن اغتباطها بأسلوب مفعم بالتشفي في الشهر الفارط ويشهد على ذلك دعاؤها عليه بالشر، وقد رأى شهر يناير في هذا السلوك ظلما ونكرانا للخير ودفع به للغضب الشديد إلى التوجه إلى شهر فيفري طالبا منه إعارته يوما واحدا من أجل الانتقام من العجوز استجاب شهر فبراير لهذه الدعوة دون قيد أو شرط وتقلصت عدد أيامه إلى يوم 28 يوم فقط ولما عزمت العجوز على الرعي في الجبل كان ما هو غير متوقع إذ فاجأها يناير بالمطر من جديد وأهلك العجوز والقطيع معها[5].

---

[1] عبد الحميد بوسماحة، "الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة"، دار السبيل، 2005، ص 11.

[2] عبد الحميد بورايو، "في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات"، دار أسامة، د ط، ص 38.

[3] M.A. Haddadou = Le guide de la culture Berbère , p 139.

[4] M.A. Haddadou = Almanach Berbère , p01.

[5] عبد الحميد بوسماحة، "محاضرات في الثقافة الشعبية"، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ص 54.

ويتم في هذا العيد الفلاحي الاحتفال بعادات وطقوس عديدة منها تغيير الأثاث، وهو السبب الذي يؤدي إلى خروج النساء والفتيات للبحث عنها بعد تنظيف الكانون وهذا موجود عندنا منذ القدم ليس هذا فقط بل كل ما هو أسود أو قديم يجب أن يغير أو ينظف (الفحم).

والجدير بالذكر أن رواية أسطورة العجوز تجمع بين العربية والأمازيغية إلى جانب العمل الأسطوري الذي يحيط بالعيد الفلاحي (يناير) يظهر التفسير التاريخي المتمثل في تزامن يناير مع انتصار الملك الأمازيغي (شاشناق) على فرعون مصر سنة 950 ق.م[1].

2. الأعياد الدينية:

1. المولد النبوي الشريف:

إن هذا الطقس يسترجع ذكرى ولادة النبي محمد "صلى الله عليه وسلم"، الذي كان مولده المكاني بدار أبي يوسف المقام عليها اليوم مكتبة عامة بمكة المكرمة، أما مولده الزماني فهو يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل على أشهر الروايات وأصحها، الموافق لأغسطس من عام سبعين وخمسمائة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

وتحتفل الجزائر بهذا اليوم العظيم الذي لا يخضع لتنظيم ديني حصري، وإحياءه غير المفروض متروك فقط لتقدير المؤمنين الذين عادة يكرمون هذا الحدث إنما بصورة غير دعائية[2].

فتقوم العائلة الجزائرية بتحضير بعض الحلويات وإشعال الشموع والمفرقعات النارية المختلفة الأشكال والألوان وترديد الأناشيد الدينية والمدائح الدينية وتعتبر هذه الاحتفالية الدينية ظاهرة فولكلورية شعبية تنتشر بين العديد من الجماعات وهي مناسبة يجتمع فيها الأقارب والأصدقاء من جميع الأماكن القريبة والبعيدة للاحتفال بذكرى مولد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد "صلى الله عليه وسلم".

2. عيد الفطر وعيد الأضحى:

يشترك جميع الجزائريين وكل العالم الإسلامي بالاحتفال بهاتين المناسبتين الدينيتين مرة كل عام، فهي بحق مهرجان شعبي يقام سنويا في أيام الأعياد[3].

---

[1] عبد الحميد بوسماحة، "محاضرات في الثقافة الشعبية"، ص 54.

[2] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1988، ص202.

[3] محمد عيده محجوب، "التراث الشعبي دراسات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية"، دار الوفاء الإسكندرية، ط1 2007 م، ص 330.

يقبل عيد الفطر أو العيد الصغير في أول شوال من التاريخ الهجري يتميز بتحضير الحلويات في البيت رغم تكلفته المادية، وبزيارة المقابر وتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين في وقت مبكر.

ويقبل العيد الأضحى أو العيد الكبير، وتركز ذروة هذا الطقس على ذبح الحيوان الأضحية وهو عادة كبش من الغنم[1]، ويؤكد القرآن مثلا دون أن يحرم الأضحية على أنه لا يمكن أن تكرس أية أضحية لأي إله غير الله. قال الله تعالى:" حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به"[2].

تضفي هذه الآيات الصفة الشرعية على ممارسة الأضحية الطقسية التي تشكل رغم ذلك إرثا متأتيا من الوثنية السابقة للإسلام[3]، امتثالا لقوله تعالى: " إنا أعطيناك الكوثر(1) فصل لربك وانحر(2) إن شانئك هو الأبتر(3)"[4].

3. دورة الحياة:

1. الميلاد والختان:

إن التراث الشعبي في كل المجتمعات يحتفل بالطفل احتفالا خاصا، ولا عجب في هذا فالطفل هو بداية الحياة وهو – في ميلاده وفطامه ونموه – رمز حي وتجدد الحياة وينسخ التراث الشعبي حول حمله وميلاده وحمايته آلاف الممارسات والمعتقدات[5].

ففي الجزائر عند ازدياد المولود ذكر يقومون بنحر كبشين، أما إذا كان المولود أنثى ينحرون شاة واحدة، وعند نمو أسنانه يقومون بتقديم مأكولات عديدة، ويجعلون طبق القمح المطهو كطبق رئيسي يقومون بطبخه عند بلوغه هذه المرحلة وغيرها من الاحتفالات لمراحل حياة الطفل المختلفة.

أما فيما يخص الختان فهو من الممارسات التي كانت تمارس في الأكشاك الخاصة بالحلاقين الذين يمارسون هذه العملية أمام المترددين عليهم. وتتم هذه العملية على الأطفال من أربيعين يوما إلى عشرة سنوات تقريبا[6].

---

[1] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 91.

[2] سورة المائدة، الآية 3.

[3] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 92.

[4] سورة الكوثر الآيات 1.2.3.

[5] محمد الجوهري، "الفلكلور العربي بحوث ودراسات"، كلية الآداب العامة القاهرة، ج2، ط2، 2006 م، ص 210.

[6] مرجع نفسه، ص 208.

الختان عملية مستنبطة من الدين وتعد وسيلة للطهرة والابتعاد عن العالم النسوي وهذه العملية بمثابة ازدياد ثان للطفل، وأفضل المناسبات التي تحبذها العائلات للاحتفال بهذا اليوم العظيم هي الأعياد الدينية مثل ليلة القدر والعيدين (الفطر والأضحى)، المولد النبوي الشريف...، وربما السبب في ذلك يعود إلى الخير الذي يعم في هذه المناسبات، مما يسمح للطفل بالشفاء السريع.

ومهما كان سن الطفل في مرحلة الختان، فإن هذه الأخيرة ترافقها احتفالات بحيث يكون هناك ضرب على الطبول برفقة منشد أو مغني شعبي، ويمتلئ الجو بالزغاريد والأغاني الترتيلية للنساء، وبهذه العملية يدخل الطفل في مرحلة الرجولة[1].

2. الزواج:

الزواج هو مؤسسة مقدسة في الإسلام وهدفه الرئيسي إضفاء الشرعية على العلاقة بين الجنسين، لهذا السبب يعبر عنه بالكلمة العربية (النكاح) التي تعكس ضمنيا هذه العلاقة، وعلى هذا الأساس يأخذ النكاح قيمته من التعاليم الدينية لأنه أولا رقية تحمي من خطر الزنا[2].

والإسلام يوصي بالزواج بدءا من مرحلة البلوغ، كونه يدرك ميل الإنسان الطبيعي نحو الجنسية، فمن يقوم بذلك في مرحلة مبكرة يزيد في قيمة إيمانه، ويمن الله عليه بنعمه.

ويتوقع أن تستمر العلاقة الزوجية لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية حمل وإنجاب الأطفال، وتكاد تكون العلاقة الثابتة أهم ما يميز الزواج في مختلف الثقافات[3].

تتعلق بالزواج شعائر وطقوس وهي خاصة بمجتمعات مختلفة تمثل رموز دينية ورموز اجتماعية وأخرى اقتصادية، وهذه الشعائر والطقوس بوظائفها الظاهرة والباطنة تهدف إلى إنجاح عملية الزواج وضمان استمراره من خلال العديد من الممارسات التي تحدد طبيعة العلاقة بالقوى الطبيعية والقوى فوق الطبيعية[4].

فالزواج في مجتمعاتنا يحمل قيمة كبيرة إذ يعتبر المنعطف الحاسم الذي يفصل بين رحلتين مختلفتين من حياة الشباب (ذكورا وإناثا)، مرحلة المراهقة وما يميزها من ثورة وطيش ومرحلة البلوغ التي تتميز بالرزانة والمسؤولية.

---

[1] محمد الجوهري، "الفلكلور العربي بحوث ودراسات"، كلية الآداب العامة، القاهرة، ج2، ط2، ص 209.

[2] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 89.

[3] محمد عبده محجوب، "التراث الشعبي دراسات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية"، ص 146.

[4] محمد الجوهري، "الفلكلور العربي"، ص 218 و 219.

يقول أبو هديبا: " النكاح مولد الإحساس" أي لتقوى خاصة تقرب الإنسان من خالقه، فيكون النشاط الجنسي في هذا السياق نشاطا يندرج في الصراط المستقيم للعبادات الذي يعطي للحياة معنى"[1].

3. الوفاة:

في الجنازة يحرص أفراد المجتمع على الكثير من الأمور، خاصة ما يتعلق بالأكل والشرب وفق عادات وتقاليد متفرقة من الوطن العربي عامة، فمثلا في مصر أثناء الوفاة فإنهم يقدمون سمكا مشويا للأهالي والجيران وخاصة الناس الذين بقوا للتعزية من أهل وغرباء[2].

أما فيما يخص تقاليد الوفاة في الجزائر فإنه بعد انقضاء ثلاثة أيام من الوفاة يقومون بدعوة الناس للعشاء، وأيضا بعد انقضاء أربيعين يوما، وفيما يخص الطعام الذي يقدم في الوفاة فهو متنوع ولكن يركزون على الكسكس بدرجة كبيرة.

3. الفنون التشكيلية:

1- صناعة الفخار:

تعتبر صناعة الفخار من أقدم الصناعات التي مارسها الإنسان فهي لا تتطلب سوى أشياء بسيطة متوفرة في الطبيعة، والإنسان بعبقريته وخبرته حولها إلى أدوات نافعة يستعملها في احتياجات اليومية.

أما الآن فنجد أن مهنة الفخار قد أصبحت تقتصر على بعض المحلات القليلة وبعض الورش التي توجد عادة في بعض المناطق الشعبية، ونجد أن بعض هذه المحلات تقوم بصناعة بعض الأشياء الفخارية مثل القلل، فرق الحمام، الشوالي الدفايات، المباخر، البرام، الزعانين وهي شوالي منقرشة من أعلى ومطلية من الخارج بالإضافة إلى بعض الأشياء التي لم يعد لها استخدام الآن مثل براميل الطرش وإبرايق السبوع[3].

وهذه الصناعة تمارس بالطريقة التقليدية عبر عدة مراحل معتمدين في ذلك على مادة الطين التي تجلب من ضفاف الوديان لتشكيل الآنية.

أو بالطريقة الحديثة في الورشات كورشة خندريش المتخصصة في صناعة الأواني الفخارية.

2- النسيج:

لطالما اعتمدت المرأة التقليدية في تلبية حاجياتها على نفسها، معتمدة في ذلك على ما توفر لها من أشياء بسيطة موجودة في محيطها الطبيعي.

---

[1] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 90.

[2] محمد عبده محجوب، "التراث الشعبي"، ص 231.

[3] مرجع نفسه، ص 272.

صناعة النسيج " تحمي الإنسان من البرد وتبرز شخصية مرتديها...فالبرنوس في نفس الوقت جميل ومهيب، دافئ ومقاوم للبرد"[1]. والمرأة القبائلية أينما تكون تتقن نسج أشياء مختلفة مثل البرانس، الأغطية، الزرابي، والأحزمة...، المادة الرئيسية في هذه الحرفة هي الصوف التي تعتبر مادة معتبرة جدا.

كذلك نجد صناعة الحلفاء التي تشتهر الجزائر بصناعتها، والحلفاء هي نبات استيبسي ينمو في المناطق السهبية، استغله الناس لانجاز بعض حاجياتهم التي تلزمهم في حياتهم اليومية، الطبق لوضع الخبز والقفة من أجل التسوق، والحصير للجلوس عليه والسجاد للصلاة.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن الصناعة النسيجية أو الحياكة في الجزائر كانت ولا تزال فنا عريقا يمارس من طرف المرأة الريفية عن طريق التقليد والتوارث، وقد كانت الفتاة تخطب لمعرفتها وبراعتها في الفنون النسيجية والصناعة الفخارية.

يقول ابن خلدون: " اعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لابد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في السكن، وهاتان الصناعتان – الحياكة والخياطة– ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفه (الدفء)"[2].

3- الآلات الموسيقية

الآلات الموسيقية الشعبية هي الآلات التي تساعد المغني على التعبير، فكل شعوب العالم تعبر عن أفراحها وحياتها اليومية بأشياء عدة، وغالبا ما يبتدعون آلات تعبر عنهم، وتصبح سمة مميزة لهم وتحسب من تراثهم الشعبي[3].

الغناء والموسيقى نوع من التعبير عن النفس تصحب وتحيي أفراح العائلات الجزائرية على اختلاف المناسبات، فتوجد فرق خاصة مثلا بالمديح الديني لإحياء المولد النبوي الشريف.

وتوجد فرق أخرى تؤدي وتعزف الموسيقى والأغاني الفلكلورية على اختلاف أنواعها كالأغنية القبائلية والأغنية البدوية المصاحبتين لحفل الزواج والختان.

ننتقل من هذا التفصيل لمجموع العادات والتقاليد المختلفة إلى القول بأن الساحة الثقافية للجزائر تشهد نشاطات ثقافية مختلفة وذلك عبر كل مناطقها التي تزخر بتراث ثقافي متنوع.

ذلك كون الجزائر ملتقى مختلف الطبوع، حيث نجد الثقافة الأمازيغية والثقافة العربية اللذين امتزجا فتولد عنهما لون ثقافي مميز قليلا ما نلمسه في بلدان أخرى.

---

[1] Musées d'Algérie II L'Art populaire et contemporain collections et culture,P 35.

[2] ابن خلدون، "المقدمة"، ص 386.

[3] محمد عبده محجوب، "التراث الشعبي"، ص 324.

وفي الفصل اللاحق سنحاول تبيان مظاهر العادات والتقاليد من خلال البحث الميداني في منطقة البويرة، بلدية آيت العزيز نموذجا.

III- أهمية العادات والتقاليد:

إن المجتمعات كثيرا ما تحوي عادات وتقاليد مختلفة، فهذه الأخيرة بإجماع العلماء هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة.

فالتراث الشعبي عامة والعادات والتقاليد خاصة هي إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير، فهي استنادا إلى ذلك إعادة خلق لماض غامض غالبا، لكنها تأخذ معناها عند مستخدميها على أنها فعل ديني[1].

فكثيرا ما يعتقد أن التقاليد عامل من عوامل التخلف والانحطاط، وأن التمسك بها ضرب من الجهل والجمود والانزواء وانعدام التفتح وعدم قبول الجديد المتطور الذي بلغته الحضارة الإنسانية في شتى المجالات، متجاهلين دور التقاليد في تحضير المجتمع وإعداده لاستيعاب واستقبال ما وصلت إليه هذه الحضارة الإنسانية.

غير أن ميزة التقاليد لا تكمن في كونها تؤكد انتماء الشعوب الإيديولوجي فحسب، فلديها كذلك وظائف أسرية لأنها عربون تعزيز العلاقات داخل الأسر، وإذا لم تصل صراعات الأجيال بين الشبيبة والهرمين حتى الآن إلى درجات مثيرة للقلق، فما ذاك إلا بسبب الحفاظ ضمن التقاليد على الحد الأدنى المعيشي[2].

إن الطقوس تسمح بإعطاء العائلة سمعة وتحفظ الأولاد من حالات الضياع في الحالات العصرية، ولكنها في النهاية يكمن الخوف في تمزق كل القيم التقليدية وعندئذ قد تتعرض الأسر لذات التمزقات التي تعرفها في المجتمعات الغربية.

كذلك يؤكد الميل التقليدي عزمه على المحافظة على الدين، وامتداده على إعادة الاعتبار التام إلى العادات والتقاليد، أي إرث الأجداد هذا أو هذا الصراط الذي يتميز عن غيره – كما يقول البعض– أي إعادة بناء الهوية الوطنية. فهي تعمل على بناء الفترات التاريخية الغابرة للأمم والشعوب التي لا يوجد لها إلا شواهد ضئيلة متفرقة[3].

ومن خلال ما سبق يمكن تحديد دور وأهمية هذه الظاهرة الفلكلورية فيما يلي:

---

[1] نور الطوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، ص 34.

[2] مرجع نفسه، ص 239.

[3] محمد عيلان، "التراث الشعبي الجزائري"، دراسات وبحوث ميدانية، وزارة الثقافة، الجزائر، د ط، 2007 ص13.

أولا: إن العادات والتقاليد بما فيها من المناسبات الفردية والجماعية تعمل على الترويح عن النفس وشغل أوقات الفراغ للخروج من جو الروتين إلى جو الفرح والابتهاج.

ثانيا: تعمل هذه الظاهرة على تثبيت القيم الثقافية وترسيخها والمحافظة عليها أكثر فأكثر.

ثالثا: تعد العادات والتقاليد وسيلة من وسائل التعليم والتلقين الفردي والجماعي.

رابعا: إن هذه الموروثات الشعبية تساعد على التكيف مع أنماط السلوك السائد وتسهل المعيشة

ولا تقتصر أهمية العادات والتقاليد على الجانب الثقافي الشعبي فقط، إنما هناك جانب اجتماعي هام.

يكمن هذا الجانب في أنها تعمل على تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتمثل في مناسبات اجتماعية لتلاقي الأصدقاء وعقد الكثير من الاتفاقيات والقضاء على الخصومات كما هو الحال في التويزة أو جمع الزيتون وغيرها من عادات التعاون والتآزر" إن تقاليدنا ضرورية في إرساء الوحدة العائلية، إننا جميعا نتواجد فيها ونشترك فيها"[1].

غير أن الفائدة الدينية هي أيضا ذات طبيعة اجتماعية عندما يحدد الالتصاق التام بالعقيدة بأنه " شرط السعادة العائلية" أو شرط الاستحقاق نصف الملتمس للويلات العديدة التي تتخوف منها[2].

ومهما كانت أهمية العادات والتقاليد إلا أنه لا يمكن أن نغفل سيطرتها وطغيانها على حياة الناس، فهي تقيد سلوكهم وتتدخل في كل أنواع النشاط المتبادل بينهم، وتمارس ضغطا قد يصعب على البعض التخلص منها خاصة فيما يتعلق بعادات زواج الأقارب.

[1] نور الطوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ص 174.

[2] مرجع نفسه، ص 173.

الفصل الثاني

الفصـــل الثاني:

العـــادات والتقـــاليـــد: واقـــــع وآفـــــاق

المبحث الأول: المأثورات الشعبية والعالم المعاصر

المبحث الثاني: الفـــرد القبائلـــي

أ- المرأة القبائلية

ب- الرجل القبائلي

I- المأثورات الشعبية والعالم المعاصر:

نركز في هذه الدراسة على قضية تغير عناصر التراث الشعبي بفعل متغيرات الحياة الحديثة- تغيرا هائلا سريع الإيقاع، يمكن إذا تفاقم أن يشكل تهديدا للثقافة القومية، وأن يعمل على تفكيك وحدتها وطمس خصائصها وإضعاف هويتها.

إن التراث الشعبي يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات والتعديلات الناتجة من تبني أساليب الحياة الحديثة، والمتأثرة أعظم التأثر بتغيير البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقا لضرورات التحضر والتحديث[1].

ويزيد من وطأة هذه العوامل ويضاعف من انتشار تأثيرها، ذلك الاستخدام القوي الدائب لما تقدمه المعرفة العلمية الحديثة وتطبيقاتها في مجال وسائل الاتصال، لقد أصبحت الكرة الأرضية "قرية صغيرة" في مواجهة التقدم في الاستخدامات التكنيكية المطبقة في وسائل الإذاعة والتلفزيون.

وننطلق بعد هذا العرض المجمل لنفصل الحديث عن عوامل التغيير، فنركز على التغير والتطوير التكنولوجي الذي اقترن بتطوير مصادر الطاقة فأثمر- في جانب منه- صناعة ضخمة هي صناعة وسائل الاتصال، وتلعب هذه الأخيرة دورا هاما في هذا الصدد إذ تمتص وتبلع جميع أنواع الموضوعات الشعبية لتعيد إفرازها من جديد وتنشرها على جمهورها العريض في عملية تغذية استرجاعية ثقافية مستمرة[2].

وقد نجم عن الاتصال بين أحداث التاريخ الكبرى وتحولاته العظمى أن أصبح قدر الإنسان في عالمنا، هو أن يقع في قبضة اتجاهات الحياة الحديثة، أيا كان موضوعه في الأرض، وأيا كانت مكانته من الجماعة البشرية التي ينتمي إليها.

ذلك أن التقدم التكنولوجي في عالمنا المعاصر يؤدي إلى وضع سائر الأمم في متناول أقوى ما عرفه الإنسان في تاريخه من وسائل الاتصال.

فإن وسائل الاتصال في مجال إعادة إنتاج التراث الشعبي هي فائقة الخطورة شديدة التشابك وبعيدة الدلالة، فهي تجدد كثيرا من صور الحياة في الماضي (سواء ماضي المجتمع الذي تخاطبه أو ماضي الإنساني عند الآخرين) وقد تخلع عليها بهاءً وجلالا أو تحط من قدرها وتسيء إلى سمعتها، وهذا كله تدخل مباشر يحيي بعضا من التراث أو يميته[3].

---

[1] محمد الجوهري، "التراث الشعبي في عالم متغير، دراسات في إعادة إنتاج التراث"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007م، ط1، القاهرة، ص 8.

[2] المرجع نفسه، ص 25.

[3] المرجع نفسه، ص 24.

فهذه الوسائل من صحافة وإذاعة مسموعة وإذاعة مرئية وسينما تحمل باستمرار أنماط من العادات والأفكار والفنون والمعارف قد تتعارض مع الأنماط المماثلة في الثقافات الموروثة، وكذلك فإنها تبث من الاتجاهات الفلسفية ما قد يتعارض أو يؤثر في تصورات الآخرين.

كذلك من المحصلات الكلية للتغير الاجتماعي في الجزائر، محصلات التصنيع السريع خاصة الذي أصبح إثر الحصول على الاستقلال الوطني، خيارا ذا أولوية في عملية التطور، هذا التصنيع الذي كان مؤهلا لتعزيز انطلاقة البلد الاقتصادية أدى إلى ضرورة انفتاح واسع النطاق على الثقافة وكيفية عيش الغربيتين، لكن هذا الانفتاح أدى إلى إيجاد آثار ثانوية غير مرغوب بها، من بينها إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية مما دفع بالجزائر إن لم يكن إلى وضع ذي أزمة ثقافية، فعلى الأقل إلى جو عام من "التشويش الثقافي"[1].

نلخص إلى أن الرجوع إلى التكنولوجيات وفي ذات الوقت إلى مساوئ الحياة العصرية يبرز بصورة منتظمة كسبب لهذا الانسلاخ الثقافي ولهذا الفجور في الأخلاق الاجتماعية التي يتم تحقيرها بشدة.

فنأخذ مثال التلفزيون الذي أعاد إنتاج الكثير من عناصر التراث الشعبي الذي يهز التراث هزا ويلحق به أفدح الأضرار، ويترك به وبنا نوازل لا يسهل البرء منها، ولكن هذا التأثير يتجلى بشكل أوضح – قد لا يكون كله سلبيا– في مجالات الطعام، مكوناته وآدابه، وأنوعه، وطرق إعداده...الخ، وفي مجال الملابس، والأثاث، وأخيرا في الترويج لبعض الأفكار والمعتقدات الخرافية، فظهورها مئات وآلاف القنوات الفضائية التجارية التي يسعى إلى كسب ملايين المشاهدين تفتش عن الإثارة دون مراعاة أية اعتبارات أخرى[2].

زد إلى ذلك مثال المرأة، ففي الماضي كانت نساء عامة الشعب تخرج للعمل مع الرجل جنبا إلى جنب سواء لبيع المواد الغذائية، أو لجمع الحطب اللازم للطهي، أو في احتراف الكثير من الحرف اليدوية لكي توفر قوت أسرتها.

وفي أعقاب ظهور النفط وزيادة عائداته، انسحبت المرأة من ميدان العمل التقليدي خارج بيتها، وانحصرت أدوارها التقليدية داخل نطاق الأسرة حيث استعانت المرأة –غالبا– بالطاهي لطهي الطعام، والمربية لتربية الأبناء، وبالخادمة لأعمال المنزل، كما أن إسهاماتها في سوق العمل ما زالت محدودة وينحصر عملها في بعض المؤسسات الحكومية[3].

---

[1] محمد الجوهري، "التراث الشعبي في عالم متغير"، ص 30.

[2] نور الدين طوالبي، "الدين والطقوس والمتغيرات"، ص 24.

[3] محمد الجوهري، "التراث الشعبي في عالم متغير"، ص 67.

وهو ما أكسب المرأة المتعلمة قدرات خاصة في مقدمتها القدرة المتميزة في استخدام التقنيات الحديثة كشبكات المعلومات والحاسبات الآلية ببرامجها المتنوعة.

ويمكن القول – مع قليل من التجاوز– أن التراث في المجتمعات التقليدية يقوم بدور الإيديولوجيات السياسية في المجتمعات الصناعية المتقدمة كما يمثل التراث ساحة للصراع الدائر بين قوى التعيير باسم الحداثة والقوى المضادة للتغيير باسم الدفاع عن الموروث.

وفي مواجهة عوامل التغيير نرى أن مادة المأثورات الشعبية يحكمها قانونان أساسيان، هما قانون الاستمرار وقانون نشوء البدائل[1].

أما قانون الاستمرار فيعني لنا الإبداع الشعبي يظل يودع مأثوره الدارج خلاصة تجارية وذخائر قوله، وضوابط سلوكه وأخلاقه ومعتقداته ويظل يوظف هذا المأثور لكفاية حاجة تكون قائمة في حياته، ويظل يذيعه ويتناقله ويردده.

وأما قانون نشوء البدائل في المأثورات الشعبية فيعني لنا أن استمرارية هذا الإيداع الشعبي تماثل استمرارية الحياة ذاتها، ففيها جزئيات تموت وجزئيات تولد، وفيها نماذج تفقد وظائفها ودلالتها وتختفي، ونماذج أخرى تكتسب وظائف جديدة، وفيها تتحول وأنماط تتجمد، وفيها مأثورات تهاجر وتستقر في مواطن استعمال جديدة.

وبالرغم من أننا نسلم بأن عوامل التغيير التي تأتي نتيجة لتطبيق الحياة الحديثة ونتيجة للمخالطات الثقافية والبشرية هي عوامل بالغة التأثير والنفوذ على مادة التراث الشعبي وأشكاله، إلا أننا نرى – من الجانب الأخر– أن هذه المأثورات الشعبية تملك من عناصر المرونة والخصوبة والقدرة على الملائمة، ما يجعلنا نرفض حتما ذلك الظن القائل بأن الحداثة ستقضي بالضرورة على سائر جوانب المأثور الشعبي، وتلغي المبرر لوجوده[2].

يؤمن كل باحث أن تراثنا يتضمن جوانب دافعة للتغير، وكما يتضمن جوانب أخرى معوقة للتغيير.

وإذا اتفقنا على أن التراث هو المخزون الثقافي المتوارث عبر الأجيال، وأنه يمثل الأرضية المؤثرة في تصورات الناس وسلوكهم، ومن ثم يكون حاملا للقيم وتجارب واقعية أثمرت حكما وجب السير على خطاها لأنها لم تأت من عدم بل هي نتيجة مخاض طويل حتى رسخها في الذاكرة الشعبية[3].

---

[1] محمد الجوهري،"التراث الشعبي في عالم متغير"، ص 9.

[2] مرجع نفسه، ص 10.

[3] أحمد حيدوش، "معارف"، مجلة علمية فكرية محكمة، المركز الجامعي بالبويرة، الجزائر، العدد الرابع، أفريل 2008، ص 125.

وليست المقاومات الوجدانية للتغيير سوى نتاج خوف جماعي من أخطار الانسلاخ الثقافي الكامنة، فهذا الأخير إذا لم يضبط، يكف عن إغناء الثقافة القديمة، بل بالعكس يقضي عليها إذ ينشأ عن تراكم الخبرات أو تزايدها (تفشي) أن يصبح هذا الانسلاخ الثقافي ناقضًا للثقافة.

وقمنا بمساءلة بعض الأشخاص حول مسألة التخلي عن التراث والانبعاث نحو الحداثة:

*" أنا أحترم تراثنا، لكني أعتقد أنه من الأفضل أن يمنح كل منا أبناءه تربية أكثر تطابقا مع الحياة الراهنة، لقد كانت حياتنا تعيسة ومعوزة، أننا نعيش حالة من اللاتوازن الداخلي"[1].

* " لو كان لي أن أحدد المجتمع الجزائري، لقلت بأنه يجثم بين مقعدين إنه يجهل من هو وإلى أين يذهب، لقد حان الوقت للتخلص من الأفكار المسبقة".[2]

* " أنا لا أعطي أهمية للتقاليد التي لا طائل تحتها، إنما أنا مؤيدة لتجاوز كل ما يؤدي إلى تعقيدات الجزائريين، فأنا موافقة تماما على وجوب التغيير إنما يجب عدم المبالغة ويجب إحياء أعياد وإن يكن ذلك لإرضاء أولادنا فقط"[3].

* " جل ما أتمناه هو أن تكون أسرتي أكثر حداثة، لكن ذلك صعب لأننا لا يمكن أن نمارس التغيير بين يوم و أخر"[4].

* " إن الطقوس مهملة نسبيا إذ لم تكن مجهولة، إننا نحتفل بها شكليا، ونقوم بذلك لإسعاد الأولاد فقط"[5].

وما يهمنا من هذه الأمثلة كعينة بأنها معاصرة تتعلق بالميل العام نحو التخلي ليس عن مجموعة من القيم وحسب بل كذلك عن مفهوم التقاليد ذاته كونه معبر عن نسق تناقضي في الطموحات الحالية.

II- الفرد القبائلي

أ- المرأة القبائلية:

يقول الحكماء: المرأة نصف المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسد المجتمع كله، فالمرأة قيمة اجتماعية ودور كبير في توجيه الأمة الوجهة المرادة وباختصار أنها سلاح ذو حدين، فهي قد تكون حاملة مشعل النهضة الكبرى ودافعة عجلة التاريخ نحو الرقي وقد تكون شبحا مخيفا ونارا متأججة لا تبقي ولا تذر.

---

[1] رشام بلقاسم، 34 سنة، بلدية آيت لعزيز.

[2] بوسيف ربيعة، 30 سنة، آيت العزيز.

[3] بوترعة كريمة، 23 سنة، قرية سعيد عبيد.

[4] عبيد لويزة، 52 سنة، آيت لعزيز.

[5] زواوي حسان، 29 سنة، بلدية عين الحجر.

إن المرأة في المجتمع القبائلي كما هو الحال عند غيرهم، تعتبر من حيث التكوين النفسي والفيزيولوجي كائنا ضعيفا مما يستدعي رعايتها من قبل الرجل.

تقضي المرأة سنوات الطفولة في بيت أهلها في إطار تربية صارمة لتحضيرها لبيتها المستقبلي، وهناك أمران أساسيان مرتبطان بمكانة المرأة القبائلية وهما:"الحرمة" "العناية"، وتتمثل الحرمة في عدم الاعتداء على شرف المرأة ومقابلة ذلك بعقاب شديد لغته الرصاص، أما العناية فمعناها الحماية التي هي من حق المرأة، الأم والزوجة عند الزوج بعد مرحلة الزواج الذي يساعد المرأة القبائلية على السمو الاجتماعي[1].

لذا فالمرأة في نظر القبائل هي إنسانة مثل غيرها وربما أكثر شأنا في بعض المواقف الحياتية، فهي محبوبة من طرف الرجل وتمثل بالنسبة له النصف الأخر الذي لا يستغني عنه أبدا.

يبدأ التفكير في تزويج الفتاة القبائلية منذ سن التاسعة أو العاشرة إذا لم تكن محضوضة مباشرة بعد الولادة، والمرأة القبائلية في المجتمع القبائلي هي أخر من يسمع بخبر الزواج أو اسم العريس، فوالدها أو ولي أمرها مطالب باستشارة أقربائه وأهله وليس ابنته[2].

فالزواج في المجتمع القبائلي مهمة الجماعة كلها وليس قرارا يخص الزوجين فقط، وعادة ما يكون الزواج داخل العائلة الواحدة لضمان استمرارية النسب حتى تكون الفتاة وسيلة لتعميق اندماج جماعة الأنساب.

ويكاد الزواج داخل المجتمع القبائلي يتخذ " الزواج السياسي"، فمصالح العائلات في ظل القبيلة الواحدة هي المصالح الرسمية التي تخضع للتحالفات والاستراتيجيات والمكتسبات المشتركة[3].

أما القول باحتقار المرأة منذ الإعلان عن ولادتها وتفضيل الذكر، فقد يبدوا ذلك صحيحا بالنظرة الخارجية غير الفاحصة، ولكن إذا ما توغلنا في عمق التركيبة الاجتماعية للمجتمع التقليدي، نجد ما يكفي من التعاليل والأدلة المفسرة لمثل هذا الإحساس التفضيلي.

فكما هو معروف فإن المجتمع القبائلي في تلك الفترة قائم أساسا على الحروب والنزاعات قد يبدأ فتيل اشتعالها من الخلية الأسرية لتبلغ حد التناحر القبلي، يضاف إلى ذلك حتمية التصدي للاعتداءات الخارجية من الأقوام المستعمرة، لذا نجد الأسرة تهلل بميلاد الذكر الذي تسند إليه

[1] فتيحة بوروينة، الرياض تدخل عالم المرأة القبائلية"، ص 4.

[2] مرجع نفسه، ص 5.

[3] مرجع نفسه، ص 5.

مهمات الدفاع عن شرف الأسرة والقرية والقبيلة، فبعد حصاد المعارك لجمع كبير من الرجال يظهر دور المرأة من جديد، إذ يقوم بإنجاب أجمل وأقوى الذكور لتقوية صف القبيلة[1].

فعند ميلاد الذكر تقام له الأفراح وتكرم الأمهات لأنه في نظر العامة عنوان الأنفة والعزة للأسرة والقرية والقبيلة، ولا نجد في هذا التفضيل أي احتقار للمرأة أو إنقاص من قيمتها، خاصة أن هذه المرأة بحد ذاتها تعترف بضرورة الإخصاب بالذكور للإيماء بحتمية الأوضاع وبطبيعة الصراعات والحروب.

1-المرأة القبائلية ومسألة الميراث:

إن المرأة القبائلية محرومة من حقها في الميراث، وهذا ينبعث منه أسس مثل هذه القوانين العرفية بتوزيع الملكية والميراث بين الأفراد فهناك بواعث ودوافع كامنة وراء تأسيسها بحيث تجسد في عمقها ما يكفي من تعليل وأدلة، ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية[2]:

* الحماية والتكفل:

إذا كانت القوانين العرفية في المجتمع القبائلي قد عزلت المرأة من حق الميراث، فإن ذلك لا يعني احتقارها، وإنما القصد حسب أبعاد تلك القوانين بسط الحماية عليها والتكفل بها وقت الشدة.

فالمرأة في كل الحالات تظل تحت حماية أسرتها الأبوية، وتحفظ بكامل حقوقها المعيشية متى شاءت تحت سقف العش الأسري الأبوي، دون أن يقلل من مكانتها كعضو ينتمي لهذه الأسرة بمعنى أن المرأة التي تحتم عليها الظروف مغادرة بيت زوجها لسبب أو لأخر تجد في بيتها (بيت أبيها) الملاذ والملجأ بالاحتفاظ على كامل حقوقها.

أما المرأة التي استهلكت ملكيتها وكامل حقها عن طريق الميراث، فإنها لا تعثر على مثل هذا الملجأ إذا عصفت بها الأوقات العصيبة بحيث ترفض الأسرة الأبوية استقبالها والتكفل بها باعتبار أنها استنفذت كامل حقوقها، ولم يبق لها شيء فتجد نفسها مشردة لذا تحاشت هذه القوانين مثل هذا الميراث الذي يقطع للمرأة أواصر الصلة بأسرتها.

* الحفاظ على الإرث المادي للأسرة والقبيلة:

إذ تقاوم القوانين العرفية تفكك الإرث الأسري وضياعه بانتقاله من الملاك الأصلين إلى أيادي أجنبية، الشيء الذي قد يسبب في إتلافه وتبذيره.

---

[1] محمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، قراءة نقدية في كتاب هانوط، سلسة أوال أبظني زرياب منشورات الجزائر، 2001 م، ص 18.

[2] مرجع نفسه، ص 19 و20.

مثلا إذا كانت المرأة قادمة من قبيلة أخرى إلى قبيلتنا عن طريق الزواج فإنها لا ترث من أبيها، حيث لا تسمح بانتقال أملاك قبيلتنا إلى أيادي الغير، ولا نريد أي تغيير في أسس هذه القاعدة القانونية.

*** تفادي التصدع الأسري:**

إن الخلية الاجتماعية في المجتمع القبائلي تقوم عليها أركان المجتمع وتتشكل بموجبها مدنية الأشخاص، بحيث أن كل الأملاك مشتركة، وثمرة مجهود كل فرد يضاف إلى مجهود الجماعة والكل يسيّر من طرف رب العائلة المتمثل في الأب، وفي غيابه ينوب عنه الابن الأكبر.

إن هذه الجمعية الأسرية الأبوية تنبعث منها إحدى الأسباب التي جعلت المرأة لا ترث في المجتمع القبائلي، إذ أن جعل الفتيات يتقاسمن الأخوة في الميراث يدفع حتما إلى توزع تراث الأجداد ويسبب في تصدع وتفكك الأسرة الموحدة بخلق الأحقاد والخلافات بين الأفراد بسبب تقسيم الإرث وتوزيعه.

وهذه بعض التفاصيل التي تعكس أوجه الإحساس بواجب الحماية والحب والتقدير الذي يكنه القبائلي اتجاه المرأة، فأبعاد القوانين العرفية في مسألة الميراث تقوم على الحكمة وفطنة وذلك أنها تدفع كل ضرر وتنقذ المصالح العامة للأسرة والمرأة وتخدم الحس الإنساني ومصلحة المجتمع.

فبهدف الحماية والتكفل والتضامن أسس مثل هذا القانون الذي يبدوا في ظاهره جائرا وغير عادل، في حين يضمر بأبعاده الباطنية كل الحرص على المصلحة الآنية والمستقبلية للمرأة، ويكفي أن مفعوله أثبت نجاعة ضمن العرف القبائلي وعاداته منذ القدم.

*** تربية الفتاة القبائلية:**

تعد تربية الفتاة القبائلية مهمة الأم وحدها دون الأب الذي يولي كثيرا اعتنائه بالابن ليصنع منه ما يريد، وغالبا ما تتميز الأم بالقسوة وعدم اللطف بالفتاة، فإذا بكت لا تهرول لإسكاتها أو تسليتها أو البحث عن أوجاعها وعليها بالصبر بل ويجب أن تعاقب من قبل أخيها حتى تتعلم الخضوع والطاعة وتحمل الشدائد وإن تبدوا هذه المعاملة قاسية إلى حد كبير فإنها في الحقيقة باللغة الحكمة[1].

إن الأم القبائلية ترى في مثل هذه المعاملة القاسية لبناتها منفعة كبيرة إذ يسهل على البنت العيش في البيت الزوجي المستقبلي في حال ما إذا حرمت في ظله من الحنان أو المعاملة الحسنة.

[1] فتيحة أحمد بوروينة، "الرياض تدخل عالم المرأة القبائلية"، ص6.

*** المرأة بضاعة أم أثاث:**

إن هناك من يرى أن المرأة القبائلية ما هي إلا بضاعة أو أثاث، إذ يسقطون عنها كل الأحاسيس الإنسانية ولا تشكل في نظرهم إلا مجرد سلعة يمكن للرجل بيعها أو شراءها فحسب هواه.

ولكي يتسنى لنا دحض هذا الحكم إلى جانب الصواب في عدة أوجه نقدم ردا على بجملة من الأدلة نلخصها في النقاط التالية[1]:

– إن الواقع المعيشي يظهر أن هذا الكائن الموصوف بالأثاث موهوب بالإرادة وله قوة الفعل يتصرف بمحض رغباته وأهوائه، وفي هذا العديد من الأمثلة، فمثلا نموذج المرأة المتمردة يقدم أصدق دليل على طلاقة الفعل عند هذه المرأة وحرية اختيارها فهي حين لم تجد رغبتها في عشها الزوجي أعلنت عصيانها وتمردها علنية في وجه زوجها وتجرأت على مغادرته والعودة إلى بيت أهلها ولا أحد يستطيع منعها.

– يكن الحس الاجتماعي القبائلي عواطف الحب وأحاسيس التبجيل إزاء المرأة مما جعلها تحظى بالحرمة والتقديس في الأوساط، فالمرأة في نظر القبائل كائنا مقدسا ومحترما، بئس الذي يمس شخصيتها وسمعتها وشرفها، فأي تصرف عنيف إزاءها أو تلميح مغرض يمثل الحجة الكافية لإراقة الدماء وأخذ القصاص من مثل هذا المعتدي الخارق لحرمتها وشرفها.

فالمجتمع القبائلي خاصة والمجتمع الجزائري عامة يحرص كل الحرص على شرف المرأة وكرامتها فهي محبوبة كامرأة ومبجلة كأم، كما أنها تعتبر امتداد لسلالة أثبتت الشجاعة والاستبسال في مواقف حياتية عدة قد تعجز عنها طاقة الرجال.

وفي تلك الفترة التي كانت للحضارة الأمازيغية شأن ذاعت شهرة نساء كثيرات منهن من تربع على العرش ومنهن من كانت في طبقة بورجوازية عليا، ومنهن من لعب دورا مؤثرا في إدارة المملكة وفي الحروب ضد المعتدي، فجمع النساء بالمرصاد ليقابلن المتخاذل بالمنع والشتم والاحتقار فالموت مئة مرة في ساحة الوغى أهون من التراجع تحت نظرات النساء الإزدرائية[2].

فإن القول بأن المرأة هي ليست سوى مجرد أثاث تزيني تقتنيه كل الأسرة، فهذا كلام فارغ لا وجود له في حقيقة الأمر كما يقول بند من بنود القانون المسير للمجتمع القبائلي: " المرأة مثل الرجل يجب أن تكون حرة في شخصيتها وقلبها".

---

[1] محمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، ص 22.

[2] مرجع نفسه، ص 26.

2-المرأة القبائلية من خلال الأشعار:[1]

ولمزيد من الدلائل والثبوت عن دور المرأة القبائلية وأهميتها في الأوساط الأسرية والاجتماعية نقدم بعض الشهادات التي نقلها الشعراء في مختلف قصائدهم باعتبار أن الإنتاج الشعري مرآة صادقة للمجتمع المنتج لها.

فهذه المادة الشعرية ثرية تعكس بجلاء الحس الاجتماعي إزاء المرأة فالقبائلي يعترف بدورها ومكانتها العالية بين ذويها فهذا أحد الشعراء يصف سلطة المرأة ودورها في المجتمع القبائلي بقول كله دقة ووضوح:

المرأة كالدعامة الوسطى للسقف
ذاك أبلغ تشبيه يمكن أن يصاغ
تعلو على الأخريات
عليها غماء البيت يرفع
فالزواج بالتروي أيها الحاذق
فحذار من ذات الأصل الوضيع
حتى وإن دللتها كل يوم
فلابد أن توصمك بالعار وتخدع

ومن خلال هذا التشبيه يظهر أن القبائلي لا يعترف فقط بتساوي الرجل بالمرأة، بل يرى في المرأة كائنا متفوقا إذ يرقى بها إلى مقام أسمى تشرف به على باقي أفراد الأسرة.

كما يقد الشاعر القبائلي وصف للمرأة ويظهر من خلاله الذوق الرفيع للشرائح الاجتماعية وفي حسن اختيار الزوجة لضمان النجاح والسعادة، فالحس الشعبي يرفض مثلا ولا يقبل الزواج بفارق السن وينفر من الزواج بين الأعمام والأقارب:

الزواج بابنة العم
يثير في القلب الحمم
أتضرع إليك يا ربي
أنقدني من هذا الشؤم

هذا المقطع وغيره من المقاطع من قصيدة طويلة تبين البعد التربوي والتلقيني لإبراز المقاييس الجمالية والخلقية التي يقوم عليها الزواج الناجح، فهي ذهنية الفرد القبائلي، والزواج يعد من الأمور الحياتية الجادة عليه تبنى سعادة الأسر وشقاؤها.

[1] امحمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، ص 27 و28.

يتضح في ختام هذا العمل الذي حاولنا من خلاله إبراز وضعية المرأة القبائلية في أوساط تلك البيئة التقليدية من حيث وظائفها وأدوارها التي تعكس مكانتها كأنثى والتي كانت مجرد قطعة أثاث يستبدلها الرجل متى شاء وأراد ذلك.

فحاولت المرأة أن تحدث بعض التطورات في مختلف جوانب حياتها متخذة الكلمة فضاءً لتعبر من خلاله عن شكواها ومعاناتها متأثرة بما شاهدته وضعية المرأة من تطور في الفترة الحديثة والتي استطاعت أن تتخلص بشكل تدريجي من تلك العادات والأعراف البالية[1].

ومن خلال هذه الدراسة نتوصل إلى النتائج التالية:

* أن موضوع المرأة القبائلية موضوع ثري وخصب عبر مراحل عمرها وتعدد أدوارها وتنوع مكانتها.

* المرأة القبائلية رفضت بشدة السلطة التي يتمتع بها الرجل ومحاولة إيجاد سلطة مضادة لسلطة الرجل عن طريق الكلمة.

* المرأة القبائلية حاربت التقاليد البالية في المجتمع القبائلي التي صنفت المرأة كمخلوق ثانوي لا يؤبه لوجوده.

وعلى الرغم من التطور الحاصل في المجتمع الجزائري عموما والمجتمع القبائلي خصوصا مازال ينظر إلى المرأة على أن مجالها محدود في المنزل كربة بيت.

ب- الرجل القبائلي:

يحتل الرجل القبائلي مكانة عالية في الوسط الأسري، وذلك منذ ولادته، فهو رب البيت وإليه ترجع الكلمة الأولى والأخيرة دون جدال أو نقاش.

فإن هذه المكانة متوازنة أبا عن جد، فمنذ القديم كان مولد الذكر بمثابة حدث هام يجب الاحتفال به "فالأم التي تلد ذكرا ينتابها الاعتزاز والكبرياء فتضع على رأسها تاجا مرصعا لتعلن للجميع أنها أنجبت هذا اليوم رجلا"[2]. فتقام له الأعراس والاحتفالات وتجد الفرحة في كل مكان داعين أن يكون خير خلف لخير سلف.

فالرجل في المجتمع القبائلي هو رجل السلطة المطلقة والاحترام، رجل الإرث والانتساب فهو رمز القوة والصلابة ومنبع العيش "الرجل يجب أن يقاوم الصعاب خارج البيت إذ أن الأشغال والوظائف في تلك البيئة قائمة أساسا على الجهد العضلي وبالخصوص العمل الفلاحي الذي يشكل مصدر الرزق والغلات"[3].

---

[1] فتيحة أحمد بوروينة، "الرياض تدخل عالم المرأة القبائلية"، ص 9.

[2] محمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، ص 8.

[3] مرجع نفسه، ص 18.

غير أن الابن لا يرث هذه السلطة التي يتمتع بها أبوه وسائر رجال العائلة ولا يكتمل دوره الاجتماعي إلا بعد أن تكون له زوجة وأطفال ينفق عليهم، يحميهم ويمارس عليهم سلطته، وعند ذلك تتكون لديه هيبة واحترام بين أفراد عائلته وقريته.

فالرجال من واجبهم التكفل بالنساء والأطفال من حيث المأكل والملبس... وأن يضمنوا السير الحسن لشؤون القرية وأن يحسنوا الدفاع عنها من أي خطر محتمل فالرجل عنوان الأنفة والعزة للأسرة والقرية والقبيلة"[1].

ولكن الرجل ورغم تطور العصر إلا أنه ما زال يتمتع بنفس المكانة التي كان يتمتع بها من قبل لأنه في نظر الأمهات والآباء هو ذلك العمود الذي يبقي البيت شامخا و عظيما.

[1] محمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، ص 20.

الفصل الثالث

الفصـــل الثالث:

العـــادات والتقاليـــد فـــي آيـــت العـــزيـــز

ظلت العادات والتقاليد قائمة وسارية إلى يومنا هذا وإن كان قد طرأ عليها بعض التغيير فتطورت مما كانت عليه، زادت أشياء واختفت أشياء أخرى بسبب التقدم والتطور العلمي والثقافي لأفراد المجتمع.

كما كانت ولازالت العادات والتقاليد في منطقة آيت لعزيز وسيلة هامة لتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات، فهذه الأخيرة تجعل قُرانا جمعيات أخوية ومن الجبل شركة كبيرة " إنها سلاح يعتمد عليه في الدعوة للدفاع وصون الحق ونصرته وتوفير الأمن والسلم للجميع ورد الظلم والعدوان والفساد"[1].

إن أهل المنطقة لهم عادات وتقاليد، البعض منها موافق للشريعة الاسلامية كالتعاون والتراحم وفي الأمور المهمة ونلمس ذلك في الأعياد الدينية وفي الأعراس وحتى في الأشغال اليدوية فتراهم كلهم يد واحدة، إلى جانب ذلك لديهم عادات فيها بعض الشوائب وخروج عن الدين كالأعراف التي يمارسونها في الوفاة وزيارتهم لبعض الأضرحة من أجل التبرك ومن بين هذه الاحتفالات:

أ- **ينايرْ:** (السنة الأمازيغية)

إن السنة الأمازيغية أكبر دليل على تمسك الإنسان القبائلي بما هو موروث ومعبر على ثقافته وهويته وأصله.

في الحادي عشر من جانفي تقوم النساء بتزيين البيوت وتحضير العشاء المتثل في العيش (المردود) بالحم كطبق رئيسي بالإضافة إلى الكسكس بالدجاج والخضر شرط توفر سبعة أنواع من الخضر، وفي السهرة تجتمع كل العائلة فيعنون ويرقصون[2].

وفي صباح رأس السنة "أقرو أوسقاس/ ثبورث أوسقاس" تحضر النساء سبع وجبات أغلبها بالزيت من أجل إحداث الدخان " شياض" لاعتقادهم أن هذا الأخير يحمي من المؤثرات الشريرة فيبعد الحشرات الضارة التي تعيق الزرع "شياض إثكس أشلياض".

وفي المساء يجتمع أفراد العائلة حول الكانون فيقومون بطهي البلوط فوق الطاجين، وبعد الانتهاء من أكله يجب أن لا ترمى بقايا وقشور البلوط حتى الصباح لاعتقادهم بوجود البركة فيهم.

كما يجب على المرأة أن لا تضع الكحل سبعة أيام حتى يكون الزرع صافي لا كحل فيه وليس هذا فقط بل كل ما هو أسود يجب أن يغير أو ينظف (الفحم)[3].

---

[1] منصور عبد الحاتم، "الشعر النبطي، أضواء على القصيدة الشعبية"، دراسة وتحليل – العرس ظاهرة مهرجانية– دار عشتروت للنشر، 1999–2000، ص 77.

[2] زعمومي فتيحة، 50 سنة، آيت لعزيز، ربة بيت.

[3] نفسها.

ب- الأعياد الدينية:

إن مناسبات الدينية من أجمل ما يصادف حياتنا لصدق الأحاسيس التي تنتابنا وما يختلجنا من مشاعر الأخوة والتضامن والتسامح.

إنها تعزز التقرب إلى الله جل جلاله وتلزمنا بتحقيق ما فرضه علينا الإسلام وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يمكن مخالفة تلك البنود التي رسمت حياة الأولين ومازالت ترسم حياة الأجيال من بعدنا.

نذكر بعض الطقوس والأعراف الخاصة بمنطقة آيت العزيز دون سواها والتي من بينها ما يلي:

1- المولد النبوي الشريف:

نحتفل كل عام في الثاني عشر من الربيع الأول يمثل هذا اليوم العظيم الذي يذكرنا بمولد خاتم الأنبياء سيدنا محمد ، وبأعماله النيرة التي تضيء دروبنا وحياتنا.

إن هذه المناسبة في نظر سكان بلدية آيت العزيز هي من أكثر المناسبات قيمة وتعظيما فهي تدل على انتمائهم إلى الأمة الإسلامية.

وفي ليلة استقبال المولد النبوي الشريف تقوم العائلة القبائلية بتحضير أطباق مختلفة لا يختلف اثنان على لذتها وطيبتها والتي تتمثل في الكسكس بكل أنواعه الشخشوخة، البغرير، الرفيس المسمن[1].

تهيئ النسوة هذه الأطباق المتنوعة فيقوموا بتوزيع جزء منها على الفقراء والمساكين حتى يكون لهم نصيب مثلهم مثلنا فيشاركوننا فرحة هذا اليوم الجليل، كما يقوم بعض الأفراد بالتصدق بالقمح أو البلوط أو القهوة أو السكر وحتى النقود كل حسب حاجته المادية[2]، وفي الأخير يذكر كل واحد بما تصدق حتى يعرف الجميع أنه ساهم في هذا العمل الخيري وهذا ما يسميه القبائليون بالوزيعة "توزيعت".

بعد الانتهاء من العشاء تجتمع العائلة فتقيم سهرة دينية يكثر فيها الحديث عن قصص الرسول صلى الله عليه وسلم كما توضع الحناء وتشعل الشموع في كل زاوية من زوايا المنزل ويجب أن نتركها مشتعلة حتى تنطفئ لوحدها[3].

وهناك بعض الأناشيد يرددها الأطفال في الشوارع بهذه المناسبة نذكر منها[4]:

---

[1] زعمومي سعدية، 95 سنة، بلدية آيت لعزيز، ربة بيت.

[2] رشام نورة، 46 سنة، آيت لعزيز، ربة بيت.

[3] بوسيف ربيعة، 38 سنة، آيت لعزيز، ربة بيت.

[4] الطفل رشام علاء الدين، 10 سنوات، آيت لعزيز، تلميذ في المدرسة.

إفْرَحْ إفْرَحْ يا قَلبِي
أَسَاقِي إِقْلُولْ نْبِي
مُولُودْ يا مُوْلُودْ
مُولُودْ النَبِي

بالعربية:

إفرح إفرح يا قلبي اليوم مولد النبي
مولد يا مولد مولد النبي

2-عيد الفطر:

في آخر أيام شهر رمضان يقوم أفراد القرية بالتحضير لاستقبال عيد الفطر "لعيد امشطوح" فتبدأ النساء بصناعة الحلويات المختلفة وتزيين المنازل حتى تبدوا أكثر بهاءً في ذلك اليوم السعيد أما الآباء فيتولون مهمة شراء بعض الملابس الجديدة للأولاد من أجل إسعادهم وإحساسهم بأهمية هذا العيد فترى البهجة والسرور في وجوهم[1].

وفي ليلة العيد تودع العائلة هذا الشهر الذي أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار آملين من الله أن يتقبل صيامنا، ثم تحضر الحناء فيضع كل فرد منها لاعتقادهم أن الحناء تنشر بينهم المودة والحنان.

في الصباح يستيقظ أفراد العائلة باكرا كبيرهم وصغيرهم، فتجهز النساء الفطور أما الرجال يحضرون أنفسهم للذهاب إلى المسجد لأداء صلاة العيد، ثم يذهبون إلى زيارة المقابر قبل طلوع النهار فهم يعتقدون أن روح الأموات تعود في مثل هذا اليوم[2].

بعد الخروج من المسجد يتغافر الأقارب والجيران فيما بينهم وقلوبهم مليئة بالتسامح والغفران فيقول كل واحد منهم " صح عيدك وكل عام وأنت بخير".

3-عيد الأضحى:

إن عيد الأضحى لا يختلف في معانيه عن عيد الفطر، ففي هذا اليوم تتذكر الأمة الإسلامية جمعاء ما حدث لسيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، وكيف أن إيمانه القوي لسيدنا إبراهيم بالله سبحانه وتعالى وصل به إلى ذبح ابنه من أجل تنفيذ ما أوحي له في منامه.

---

[1] رشام نورة.

[2] زعمومي سعدية.

وهي رسالة من الله عز وجل ليمتحن رسله وعباده الضعفاء وكيف أنه جل شأنه أوحى إلى إبراهيم بكبش ومن ثمة جعلها سنة عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبح المسلمون يقتدون بها.

قبل حلول عيد الأضحى "لعيد أمقران" يتوافد الرجال إلى الأسواق لشراء الأضحية مع بعض اللوازم لعملية الذبح حتى يكون كل شيء جاهز في ذلك اليوم[1]

وتقام التجهيزات كما أقيمت في عيد الفطر إلا أنه بعد الانتهاء من أداء صلاة العيد تذبح الأضحية في حين تقوم النساء بغسل كل الأعضاء من كبد ورئتين كما يحضرون "البزلوف" من رأس وأرجل.

وفي اليوم الموالي يقطع الكبش فبعضه يوزع على الفقراء والمحتاجين وبعضه الأخر يترك لأفراد الأسرة والأقارب والأهل.

ب- دورة الحياة:

1-الميلاد:

الميلاد هو الخبر السعيد، خاصة إذا كان ذكرا يكون فرصة لالتقاء النساء للغناء وتبادل الحديث عن آخر الأخبار.

إذا تمت الولادة في البيت في حالة ما كان الجو ممطرا أو مثلجا مما يعرقل عملية نقل الأم الحامل إلى المستشفى، تتولى أمر توليدها عجوز من الدرشرة تكون لها خبرة في هذا المجال فتطلب أولا من النساء تسخين الماء حتى تشرع في عملها، وبعد الانتهاء وبمجرد سماع صياح الولد تقابله بهذا الكلام "مرحبا بيك وعسلامة بيك صباح جديد وربح يزيد".

وفي الصباح تجهز النسوة بعض المأكولات من " العيش" و" تشيشة لمرمز" ويدعون أهل الدشرة ليشاركونهم هذه الفرحة، أما في اليوم السابع تقام له حفلة "سبوع" فيحضرون الكسكس بالدجاج أو اللحم ويطعمون كذلك جميع أهل الدشرة كبيرهم وصغيرهم.

وفي المساء يجتمع الأهل والأقارب والجيران فيغنون ويرقصون محتفلين بقدوم هذا الولد إلى الدنيا وخاصة إذا كان المولود ذكرا "أقشيش" ومن بين الأغاني التي يرددونها:

افرح ميم مقر

يدم تلوحت اذيغر

ذي جمعت سيدي معمر

وبالعربية:

افرحي ابنك قد كبر

[1] زعمومي سعدية.

اشترى لوحة لكي يقرأ

في جامع سيدي معمر

وكذلك:

نقز تينقزين يفغ مي أثبحيرث أذيكس تفقوسث.

وبالعربية:

أقفز قفزتين يخرج ابني إلى البحيرة ليقتلع البطيخ.

2-الختان:

إن عملية الختان تجعل الطفل على استعداد للقيام بالممارسات الدينية مستقبلا، فينقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة بالإضافة إلى أهمية هذه العملية بالنسبة للزواج والإخصاب.

قبل أيام من حلول يوم الختان يقوم الأب أو الجد بشراء برنوس للولد "قندورة" بالإضافة إلى قبعة وحذاء وقبل الدخول بها إلى المنزل تطلق النسوة بعض الزغاريد، كما يتم تحضير عشاء للعائلة بمناسبة دخول ملابس الطهارة إلى البيت[1].

وعند اقتراب يوم الختان تهيئ النسوة مختلف الحلويات وبعض الحاجيات اللازمة لإقامة الوليمة، وفي ليلة الختان يجهزون الحناء فتعلوا الزغاريد وتتهاطل الهدايا والأموال للتهنئة، فتنشد النساء بعض التراتيل بهذه المناسبة نذكر منها[2]:

1) إخفيف الصانع

أوزالذالقاطع

أقشيش ذمشطوح

مولاش أذ يخلع

2) ألخوول ألعلوج

أذريم ذقجقوج

إيماس ثعزيزث

أولاق أتسنوج

3) كونوي ألعموم

ويقذ يلان دشقيقن

ثويمد أذريم

أتسعيونم قماثون

[1] بوراس فاطمة، 76 سنة، آيت العزيز، ربة بيت.

[2] نفسها.

بعد الانتهاء من المديح تقوم الجدة برسم يد (خمسة) بالحناء على ظهر قندورة الحرير للولد القبائلي لاعتقادهم أنها تحمي الولد من العين والحسد[1].

في الصباح يأخذون الطفل إلى الطبيب في جو احتفالي مع إطلاق الزغاريد والمفرقعات النارية كأنه يوم عرس فتعم البهجة في المكان وخاصة على أمه ووالده اللذان يشعران أن ابنهما قد صار رجلا يمكن الاعتماد عليه.

ويبقى الولد مرتديا ذلك البرنوس لمدة سبعة أيام، ولما ينزعها تحضر النسوة وليمة أخرى ويوزعونها على أهل الدشرة.

أما ذلك الذي تبقى من عملية الطهارة يضعونه مع تراب كانوا قد جلبوه من مكان بعيد جدا فيتم دفنه في نفس المكان الذي أحضروه منه، في جو مليء بزغاريد النسوة والضرب على الطبول مع بعض الأغاني[2]، فتساءلنا عن سبب اختيار المكان البعيد؟

فأجابت الجدة سعدية أنه بسبب الخوف من إيجاده وأخذه إلى الدرويش لمنع ذلك الولد من الزواج أو الإنجاب.

3- الزواج:

إن الزواج هو إقتداء بسنة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم جميعا، كما أنه تنفيذ لأمر الله تعالى لنيل رضوانه ورحمته فيبعد الأمة من كل الشوائب أو بالأحرى من الوقوع في المحرمات.

إن سكان بلدية آيت لعزيز يحتفلون بهذه المناسبة احتفالا مميزا فتمارس فيها طقوس معينة ورثوها غن الآباء والأجداد، ويمر الزواج عندهم بمرحلتين:

- **الخطبة:**

في القديم كانت الخطبة مهمة الوالدين حيث هما اللذان يختاران له شريكة حياته بعد رؤيتها في الأعراس مثلا أو في العنصر (عين الماء) أو تكون واحدة من العائلة سواء أكانت ابنة العم أو الخال.

يزور الأب والأم بيت العروسة لرؤية هذه الأخيرة ولمعرفة كيف هي طباعهم وأخلاقهم دون إخبارهم عن شأن الخطبة، كما أنهم لا يأخذون ابنهم معهم لأنه قديما كان الرجل لا يرى زوجته حتى العرس، وإذا ما أعجبتهم البنت واطمئنوا لأهلها يعودون في يوم أخر من أجل خطبتها رسميا " نساذ أساكي لنسبة ما يكتب ربي" "أتينا اليوم من أجل النسب إذا كتب الله"[3].

---

[1] رشام نورة

[2] زعمومي سعدية

[3] بوراس فاطمة.

ويأخذ أهل العريس الإمام "مرابط" معهم لكي يحضر الشرط لأنه في هذا اليوم إذا تم قبول أهل العروسة بطلبهم فإنهم يقرؤون الفاتحة مباشرة فتزغرد أم الفتاة وحماتها للدلالة على أنها تزوجت حتى لا يتقدم إلى خطبتها شخص أخر.

أما الآن فأصبح الشاب يتعرف على فتاته وحده دون أن يتدخل الوالدين وما عليهما إلا الموافقة على طلبه دون أي اعتراض وإلا سيؤدي بهم ذلك إلى التنافر معه وفقدانهم له.

- **الحنة:**

في ليلة الحنة يذهب أهل العريس إلى بيت العروسة حاملين معهم الحقيبة الخاصة بالعروس " لجهاز" مع قنطار من الكسكس أو الدقيق والكبش والزيت والسكر ما عدا القهوة لأنها كما تقول النسوة تجعل قلب العروس أسودا وحقودا، بالإضافة إلى أخذ السكين وكل حاجيات الذبح وعند إدخال هذه الأشياء إلى البيت فيجب على العروس أن تخرج من المنزل لاعتقادهم أن إدخال هذه التجهيزات عليها فأل سيء فقد تصاب بالمرض[1].

وهذه واحدة من الأغاني التي يرددها أهل العريس عند ذهابهم إلى العروس[2].

نوساذ إيغيل أبحري ألا يتسرسير

أجث أفريد أنعدي

أث ناوي لحجلة لطير

وبالعربية:

أتينا العقبة العقبة والهواء يهب

أتركوا لنا الطريق لنمر

نأخذ الحجلة إلى الطير

ينام أهل العريس عند العروسة ويحضرون أجواء الحنة، فتأخذ أمها أو جدتها صحن من الفخار تضع فيه الحناء والسكر، الملح، ماء الزهر، البيض وقطع من النقود يخلط الكل معا ثم تضع قليلا منها في يد العروسة كما يضع جميع الضيوف ويكون ذلك مصاحبا بالمديح[3]:

أويد أقوسيم أمنق لحني

كميني شليت ربي أكمهني

ثغراثين

---

[1] بوسيف ربيعة.

[2] زعمومي سعدية.

[3] رشام نورة.

أخام إسع ثدونت ثلاس
أتسرون أ–ل–ذي سولاس
ثغراثين

بالعربية:

مدي يدك لنضع لك الحناء
الله سيمنح لك يا عروس الهناء
زغـــــردن
البيت الذي تخرج منه بناته
يبكي حتى أساسه ودعائمه
زغـــــردن

في الصباح تزف العروس إلى بيت زوجها برفقة أهل العريس والبعض من أهلها وأقاربها فتُلاقيها حماتها عند الباب وتقوم برمي الحلوة عليها.

ثم تدخل العروس إلى البيت وتجلس في المكان المخصص لها حتى يأتي طفل صغير يقدم لها النقود وهي تعطي له حبة بيض لكي ينزع لها ذلك الشرشف الذي يغطي رأسها[1].

وفي الصباح الغد تتجه العروس مع بعض النسوة والأطفال إلى منبع الماء حاملة معها وعاء مليء بالحلوة وعند الوصول إلى المنبع تقوم بتوزيع تلك الحلوى على الأولاد وتقوم بملء ذلك الوعاء بالماء فتشرب منه هي أولا ثم يشرب منه الذكور ثم الإناث .فتساءلنا لماذا الذكور قبل الإناث؟

أجابت النسوة أنه حتى يكون مولودها الأول ذكرا، وأما الماء المتبقي فتجلبه إلى البيت لتحضر به العشاء.

بالإضافة إلى هذه العادات تقول السيدة نورة أن العروس في أيامها السبعة الأولى لا يجب أن تشتغل وتكنس كما أنها لا تمس كل ما هو أسود لأن هذا يجلب لها الحظ السيئ قد يكون الطلاق أو المرض أو عدم الإنجاب.

وهكذا تنتهي مراسيم الزواج التي تعتبر أجمل لحظات العمر بالنسبة للفتاة وأهلها.

4- الوفاة:

في اليوم الأول للوفاة تقوم النسوة بطهي الكسكس بالدجاج أما الرجال فيتولون مهمة شراء الكفن وكذلك اقتناء بعض الحاجيات اللازمة من خضر وخبز لإقامة الوليمة[2].

[1] سعدية ونورة.

[2] رشام بلقاسم، 34 سنة، آيت لعزيز.

وإذا حدثت الوفاة صباحا فإن الدفن يكون في المساء وأما إذا حدث في المساء فيكون الدفن في صباح الغد.

وفي الليلة التي يتم فيها دفن الميت يقوم أفراد العائلة سواء الرجال أو النساء بوضع لباس الميت مثلا قميصه فوق قبره، وفي الصباح يأتون به من القبر ويأخذونه إلى الدرويش ليخبرهم بما يفعله ذلك الميت في الآخرة ولمعرفة ما إذا كان يريد أن يوصى بشيء قبل وفاته ولم يتمكن من ذلك[1]، وتقول إحدى السيدات: نعم أنا قمت بهذا وفعلا رأيت زوجي ينازع ويتألم.

وفي يوم الأربعين من الوفاة يقوم أهل الدشرة كلها بإعداد وليمة، فكل فرد ماذا يحضر سواء الكسكس أو الخضر أو الدجاج فيجتمعون في منزل أهل الميت ليشاركونهم حزنهم وألمهم والتخفيف عنهم، وتقوم نساء الدشرة بتحضير العشاء لجميع الأفراد الموجودين وتوزيع البعض منه على الذين لم يحضروا[2].

إن الموت حق على كل كائن في هذا الوجود، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ج- الفنون التشكيلية:

إن المرأة في المجتمع القبائلي شبيهة بالنحلة فهي دائمة العطاء ولا تعرف معنى للتعب، بل هي كثيرة الحركة والنشاط وتقوم بكل هذه الأعمال وكلها حب وسعادة لتضمن حياة أفضل لعائلتها وتكون سندا لزوجها.

1- فن الفخار:

لقد اهتمت نساء منطقة آيت لعزيز بصناعة الأواني الطينية المستعملة في الأغراض المنزلية كما برعت فيها حتى صارت مصدرا للرزق بالنسبة لكثير من العائلات، ولكي تحصل على هذه الأواني تقوم بعدة أعمال.

إن أول مرحلة تقوم بها الفتاة القبائلية غند صناعة الفخار تكمن في ذهابها مع بعض النسوة إلى أماكن خاصة لجلب الطين منها "إيغيلو مصلاح" أو "هاروت"، والتي تعد من أشهر الأماكن الموجودة فيها[3]، وهو بمثابة كتل ترابية تميل إلى اللون الأحمر وأحيانا إلى اللون الرمادي.

يجلبونه على ظهورهم فيضعونه فوق صفيحة من الخشب ويتركونه ليجف، وفي اليوم التالي بعد جفافه يضعونه فوقه صخرة كبيرة ويقمن بتحريكها ذهابا وإيابا على ذلك الطين حتى يصبح كالدقيق، وبعدها يضيفون له بقايا الأواني الفخارية المكسورة ويقومون بطحن الجميع وغربلته.

---

[1] زعمومي سعدية

[2] زعمومي سعدية

[3] بوسيف ربيعة

وفيما يخص العجن فإنهم يضيفون بعض الماء إلى الخليط السابق ويقومون بعجنه كالخبز حتى يشكل عجينة طرية ويترك حتى الغد وذلك بوضعه في كيس من البلاستيك.

وفي عملية التشكيل تقوم المرأة بتجزئة ذلك العجين وبواسطة قطعة ملساء بيضاوية الشكل مصنوعة من خشب شجرة التين "ثقشريرث" وقطعة خشبية مستطيلة تستعمل لتمديد الأواني "أفقرون" تشكل قطعا رائعة من صحون وجفون ومزهريات وفناجين وغيرها من الأواني التي تستعملها المرأة في البيت[1].

توضع هذه القطع تحت الشمس حتى تجف ثم تدهن بنوع من الطين الأبيض أو الأصفر "أمساس" بعد أن تذيبه في الماء وبعد أن تجف تقوم المرأة القبائلية بعملية الحك بالحجر "أمزاي" حتى تصبح ملساء.

وتتمثل المرحلة الأخيرة في صناعة الفخار في عملية التزيين بمختلف النقوش والألوان كأنصاف دوائر، خطوط منحنية ومنكسرة، شرائط، مثلثات، أزهار، نجوم وغيرها وبعد أن تصبح الأواني جاهزة تحرق فوق النار للتأكد من عدم وجود شوائب فيها قد تدفعها إلى الانفجار[2].

وهكذا كان فن الفخار مصدر إلهام للمرأة القبائلية فعبرت غن أحاسيسها ومشاعرها الرقيقة من خلال تلك الرسوم والأشكال التي أبدعت في صنعها فوق الأواني الطينية.

2- النسيج:

إن فن النسيج فن قديم له وظيفة أساسية هي الاستعمال اليومي فشأنه شأن الفخار يتمتع بنفس أهميته وضرورة وجوده في حياة الفرد فهو يلعب دورا فعالا في توفير الدفء والحماية من البرد والمرأة القبائلية أينما تكون تتقن نسج أشياء مختلفة كالبرانيس والزرابي وغيرها.

إن المادة الرئيسية في هذه الحرفة هي الصوف الذي يعد مادة معتبرة جدا فهي ضمان للحياة فأول مرحلة تقوم بها المرأة في عملية النسيج هي جز الصوف من الأغنام والقيام بغسله ولما يجف تستعمل المرأة لوحتين أفقيتين تنتهيان بأسنان عمودية "أقرذاش" تضع بينهما قليلا من الصوف لتصنع به قطعا مستطيلة وصغيرة.

وبواسطة المغزل "إزذي" تضع خيوطا رقيقة وكلما امتلأ المغزل تقوم بنزعه منه وتشكيله فيما يعرف بـــ " أفوس بضراق". والآن وقد أصبح كل شيء جاهزا يمكن التفكير في وضعه في آلة النسيج "أزطا".

وهكذا كانت ولا تزال صناعة النسيج فنا عريقا في منطقة آيت لعزيز الذي يعبر عن براعة الفتاة القبائلية وحسن إتقانها لهدا الفن.

---

[1] مزهود نورة، 43 سنة، آيت لعزيز

[2] نفسها.

خاتمة

ترانا عاجزين عن التعبير عما يخارج صدورنا من شعور بالغبطة والسعادة ونحن نقوم بإنهاء هذا العمل، الذي تحاشينا التصرف فيه أي في المضمون حتى لا نضل المعنى أو نخطأ المرمى، ولنتفادى التطويل الممل أو الانحراف بما لا نعرف وعملا بالقاعدة "خير الكلام ما قل ودل"، وحتى لا يفوتنا في هذا أن نقول في خاتمة بحثنا فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بهذه الدراسة والتي كان في مجملها:

1- إن دراسة العادات والتقاليد ذات أهمية كبيرة، متمثلة في أنها الحقيقة التي تنتقل عبر الأجيال ولا تتغير إلا ببطء شديد ومن ثمة فإن فهمها يمكن أن يلقي الضوء على أسلوب الجماعة في التفكير والعمل.

2- العادات والتقاليد تتجلى في ميادين كثيرة، منها ما يظهر في الأعياد والمناسبات المرتبطة بالمولد النبوي الشريف مثلا أو العيدين (الفطر والأضحى)، أو الزواج أو التعزية بالوفاة أو في الفنون التشكيلية، وغيرها.

3- لا يجب أن نقف عند التسليم بحدوث تغيرات أو إندثرات في المأثورات الشعبية، بل ينبغي أن تنقضي عوامل هذا التغير ودرجاته ومناحيه بالنسبة لمادة الفلكلور حيث يقول "أحمد رشدي صالح" في حديثه عن عوامل تغير المأثورات الشعبية " نستطيع أن نجمل عوامل التغير بالنسبة للمأثورات الشعبية في نوعين أولهما: تلك العوامل الثابتة ومثالها ما يطرأ من تبدلات على أساليب العيش، وثانيها: العوامل الحديثة التي يصوغها الإنسان عن تعمد سياسي أو فكري، والتي قد توضع لها الخطط والبرامج الكفيلة بأن تحدث هذه العوامل تأثيرها".

4- إن نظام الأسرة حيث كان الأب ولا يزال رب الأسرة، ولكن ذلك لا يمنع الأم من المشاركة الفعلية في إدارة وتدبير شؤونه فهي تقوم إلى جانب الرجل وتساعد في مصاريف العائلة بفضل الحرف التي تمارسها.

5- إن العادات تختلف من مجتمع لأخر ومن زمن لأخر، حيث أن إتباعها والاعتقاد بها لزمن طويل يشتد حتى يصبح سلطة اجتماعية، هذا ما دفع بالجيل الحالي إلى اتخاذ موقف يرفض التسليم بهذه العادات لكونها تجعلهم مقيدين وتمارس ضغطا على حياتهم لدرجة أن الفرد يضيق ذرعا بها، ويصعب عليه التخلص منها فيحاول التمرد عليها لما لها من ثقل وعبء على حياة الفرد والجماعة.

وفي الأخير ندعو إلى ضرورة الحفاظ على هذا الموروث الذي يعني بالدرجة الأولى الأرض وحصانتها والدفاع عنها وتجديدها للخير والعطاء.

وبهذا يكون للشعوب تاريخ حفظوه وحافظوا عليه وتناقلوه جيلا بعد جيل كما صانوه من التلف والضياع.

يقول "ذي الأصبع العدواني" في قصيدة له في المفضليات

كل امرئ راجع يوما لشيمه وإن تخلق أخلاقا إلى حين

الملاحق

نوع من الزرابي المزخرفة

صورة تبين كيفية صنع النسيج

نوع من الأواني الفخارية الجاهزة

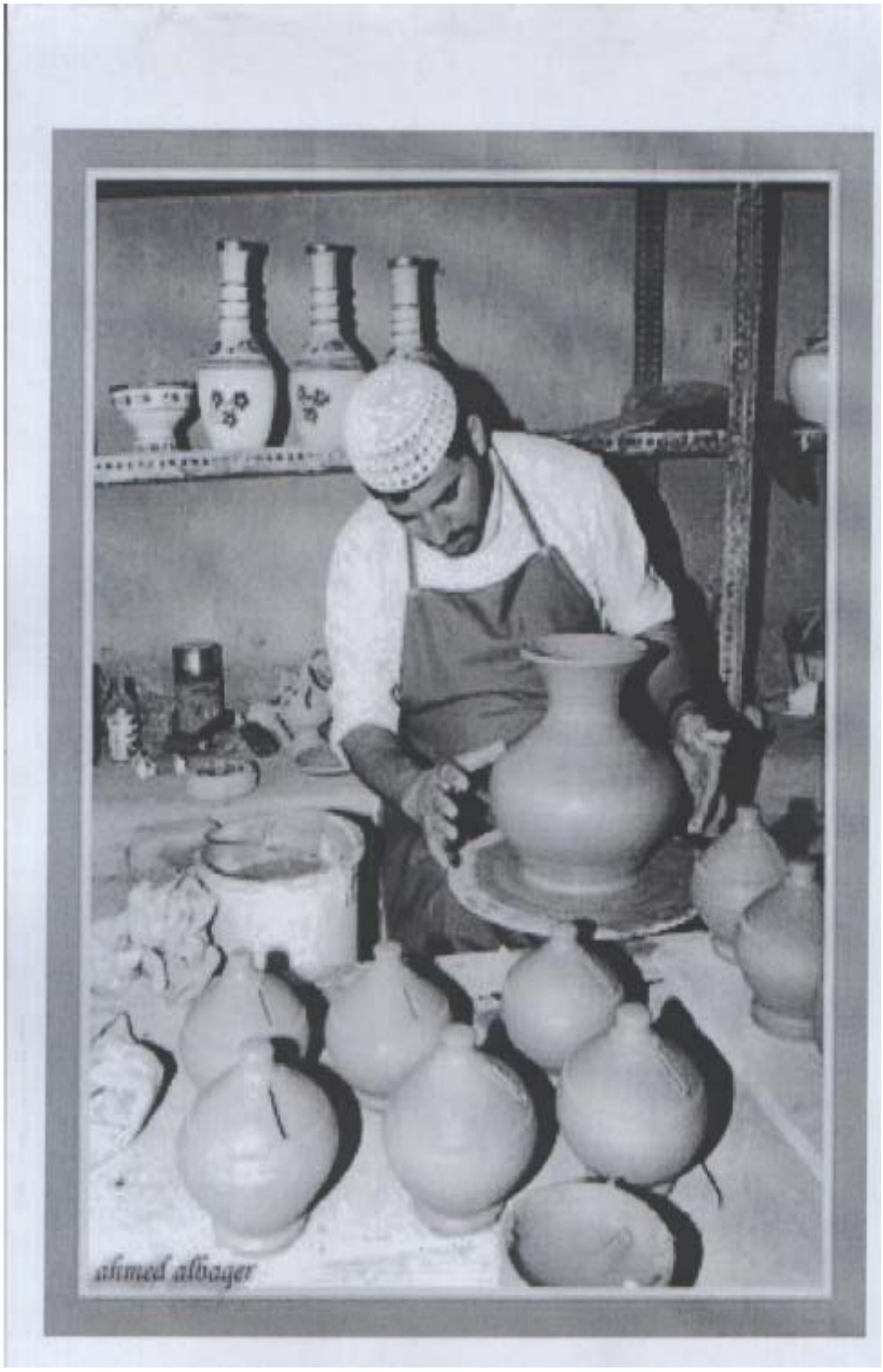

صورة تبين كيفية صناعة الفخار

المصادر
و
المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر:

1- القرآن الكريم
2- ابن خلدون "المقدمة"
3- أحمد فارس "معجم مقايس اللغة"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
4- عبد القادر الرازي، "مختار الصحاح"، دار الفكر ناشرون وموزعون، ط1، 2007 م.

II- المراجع:

5- أمحمد جلاوي، "أشعار من قبائل جرجرة"، قراءة نقدية في كتاب هانوطو، سلسلة أوال أبظني زرياب، منشورات الجزائر، 2001 م.
6- حمدي الشيخ، "جدلية التراث في شعر شوقي الغنائي"، كلية الآداب جامعة بنهام، ط1، 2006م.
7- عبد الحميد بورايو، "في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات"، دار أسامة.
8- عبد الحميد بوسماحة، "محاضرات في الثقافة الشعبية"، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة.
9- عبد الحميد بوسماحة، "الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة"، دار السبيل 2005 م.
10- فاروق أحمد مصطفى، "الأنتربولوجيا ودراسة التراث الشعبي دراسة ميدانية"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2008 م.
11- محمد الجوهري، "التراث الشعبي في عالم متغير- دراسات في إعادة إنتاج التراث" ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2007 م.
12- محمد الجوهري، "الفلكلور العربي. بحوث ودراسات"، كلية الأداب العامة، القاهرة، مج2 ط2، 2006 م.
13- محمد رياض وتار، "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة"، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 م.
14- محمد سعيد جعفور، "مدخل إلى العلوم القانونية- الوجيز في نظرية القانون"، دار هومة الجزائر، ط 14، 2007 م.
15- محمد عيده محجوب، "التراث الشعبي دراسات ميدانية في مجتمعات ريفية بدوية"، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2007 م.
16- محمد عيلان، "التراث الشعبي الجزائري – دراسات وبحوث ميدانية"، وزارة الثقافة الجزائر 2007 م.

17- منصور عبد الحاتم، "الشعر النبطي، أضواء على القصيدة الشعرية" دراسة تحليلية "العرس ظاهرة مهرجانية"، دار عشتروت للنشر، 1999- 2000 م.

18- نور الدين الطوالبي، "الدين والطقوس والتغيرات"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط1 1988.

ب- المراجع الأجنبية:

19- M.A. Haddadou = Almanach Berbère

20- M.A. Haddadou , Le guide de la culture Berbère

21- Musées d'Algérie II L'Art populaire et contemporain collections et culture.

III- المجلات والدوريات:

22- أحمد حيدوش، "معارف" مجلة غلمية فكرية محكمة، المركز الجامعي بالبويرة الجزائر، عدد 04 أفريل 2008.

23- فتيحة أحمد بوروينة، "الرياض تدخل عالم المرأة القبائلية"، جريدة الرياض، العدد 12887 مكتب الرياض بالجزائر، 2003.

الفهرس:

الموضوع.....الصفحة

المدخل: تحديد منطقة آيت العزيز –جغرافيا، اقتصاديا، ثقافيا.....4

الفصل الأول: نظرة عامة حول ماهية العادات و التقاليد.....9

ا -تعريف العادات و التقاليد لغة و اصطلاحا.....9

1- العادات.....9
2- التقاليد.....10

II –مظاهر العادات و التقاليد.....11

1- يناير.....11
2- الأعياد الدينية.....12
1- المولد النبوي الشريف 12
2- عيد الفطر و عيد الأضحى.....12

3-دور الحياة 13

1- الميلاد و الختان.....14
2- الزواج.....14
3- الوفاة.....15

4-الفنون التشكيلية.....15

1-صناعة الفخار.....15
2-النسيج.....15
3-الآلات الموسيقية.....16

III –أهمية العادات و التقاليد.....17

الفصل الثاني: العادات و التقاليد واقع و أفاق.....20

ا –المأثورات الشعبية و العالم المعاصر.....20

II –الفرد القبائلي.....23

أ- المرأة القبائلية.....23
1- المرأة القبائلية و مسألة الميراث.....25

2- المرأة القبائلية من خلال الأشعار.....28

ب – الرجل القبائلي.....29

الفصل الثالث: العادات و التقاليد في آيت العزيز.....32

I –الأعياد.....32

أ- يناير.....32
ب- الأعياد الدينية 33
1- المولد النبوي الشريف.....33
2- عيد الفطر.....34
3- عيد الأضحى.....34

II – دور الحياة.....35

1- الميلاد.....35
2- الختان.....36
3- الزواج.....37
4- الوفاة.....39

III –الفنون التشكيلية 40

1- فن الفخار.....40
2- النسيج.....41

الخاتمة.....42

الملاحق.....45

قائمة المصادر و المراجع.....51

الفهرس.....54